عشرون مفسدة من مفاسد قيادة المرأة للسيارة

(حوار علمي هادئ مع المطالبين بقيادة المرأة للسيارة

في المملكة العربية السعودية)

تأليف راجي رحمة ربه الغفور

ماجد بن سليمان الرسي

نسخة جديدة ، مصححة ومزيدة

ذي القعدة ، ١٤٢٦ هجرية

هذا الكتيب مثبت في **www.saaid.net/kutob**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالميـن ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسليـن ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعيـن وبعد :

فلا يخفى على من عنده بصيرة في ديـن الله أن الأصل في الأشياء الإباحة ، فإن أدى ذلك الشيء إلى أمر مكروه أو محرم فإنه يأخذ حكم ما أدى إليه ، كراهة أو تحريما .

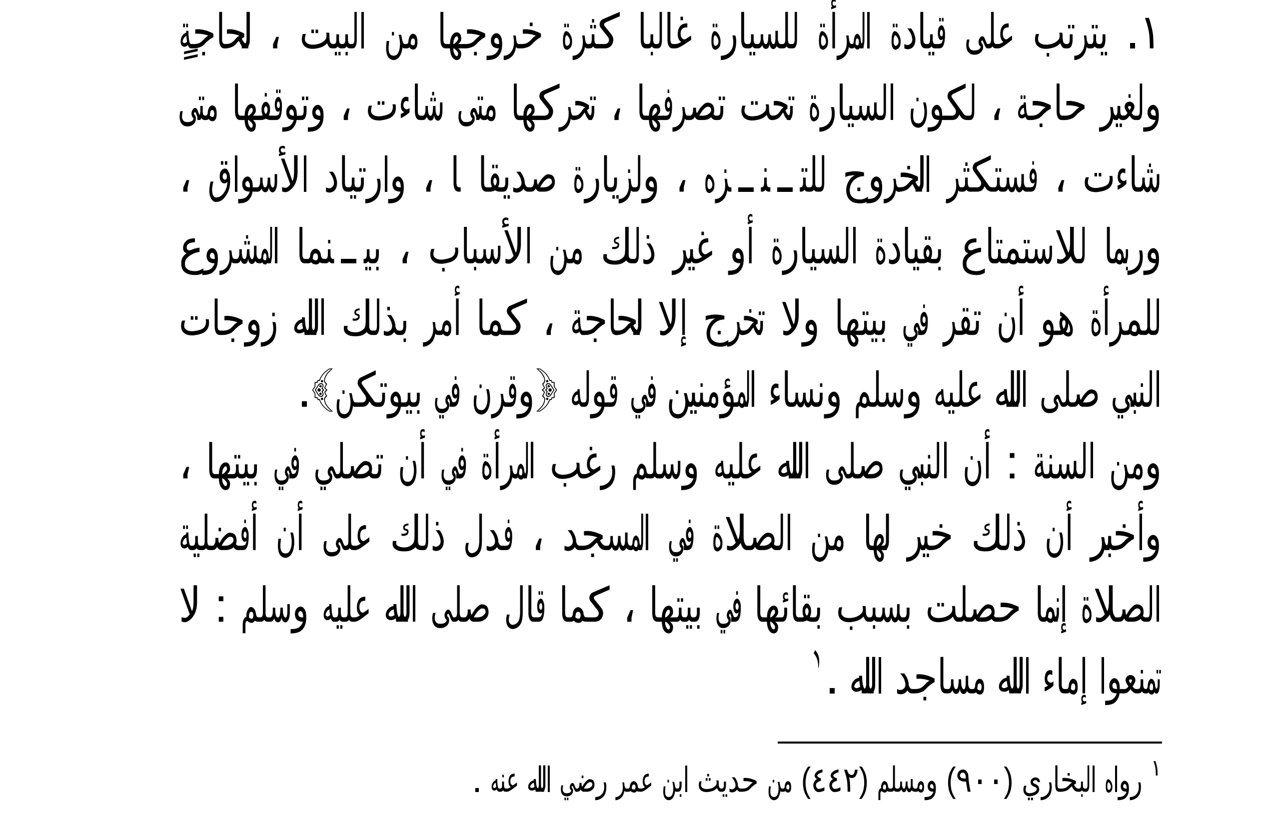
ولا يخفى أيضا أن من قواعد الشرع العظيمة قاعدة سد الذرائع المفضية إلى الشر ، وقد أورد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه العظيم  إعلام الموقعيـن عن رب العالمين  تسعة وتسعين دليلا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على حجية قاعدة سد الذرائع المفضية إلى الشر .

ولو جئنا نطبق هذه القواعد على موضوع قيادة المرأة للسيارة لوجدنا أن قيادة المرأة للسيارة في حد ذا ا عمل مباح ، ولكن الناظر للمفاسد الناتجة عن قيادة المرأة للسيارة بموضوعية وتجرد يجد أ ا أعظم بكثير من مصالحها ، فعندئذ تأخذ القيادة حكم ما أدت إليه ، ألا وهو التحريم .

والدافع لتأليف هذه الرسالة هو التناصح وبيان الحق لإخواننا المطالبين بقيادة المرأة للسيارة ، لا سيما وقد وصل الأمر إلى ادعاء بعضهم أن هذه المطالبة لا علاقة له بالشريعة !!! ، فعسى أن تكون في هذه الكُليمات تذكرة للجاهل ومعونة للعاقل .



وقد تأملت المفاسد المترتـبة على قيادة المرأة للسيارة ، فوجد ا تصل إلى العشرين مفسدة ، أضعها بين يدي القارئ الكريم :

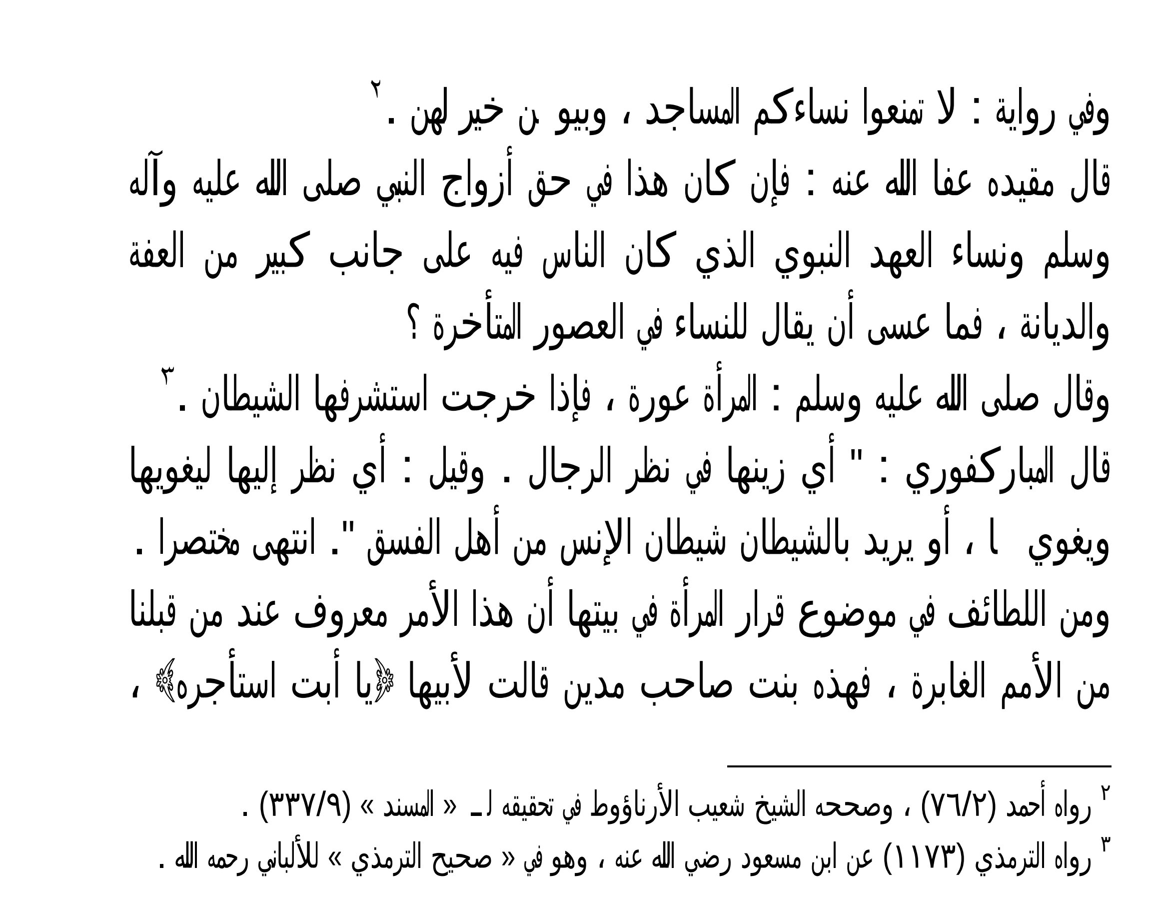


١. يترتب على قيادة المرأة للسيارة غالبا كثرة خروجها من البيت ، لحاجةٍ ولغير حاجة ، لكون السيارة تحت تصرفها ، تحركها متى شاءت ، وتوقفها متى شاءت ، فستكثر الخروج للتـنـزه ، ولزيارة صديقا ا ، وارتياد الأسواق ، وربما للاستمتاع بقيادة السيارة أو غير ذلك من الأسباب ، بيـنما المشروع للمرأة هو أن تقر في بيتها ولا تخرج إلا لحاجة ، كما أمر بذلك الله زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين في قوله ﴿وقرن في بيوتكن﴾.

ومن السنة : أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب المرأة في أن تصلي في بيتها ، وأخبر أن ذلك خير لها من الصلاة في المسجد ، فدل ذلك على أن أفضلية الصلاة إنما حصلت بسبب بقائها في بيتها ، كما قال صلى الله عليه وسلم : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله .[1]

---

[1] رواه البخاري (٩٠٠) ومسلم (٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .



وفي رواية : لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيو ن خير لهن .[٢]

قال مقيده عفا الله عنه : فإن كان هذا في حق أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونساء العهد النبوي الذي كان الناس فيه على جانب كبير من العفة والديانة ، فما عسى أن يقال للنساء في العصور المتأخرة ؟

وقال صلى الله عليه وسلم : المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان .[٣]

قال المباركفوري : " أي زينها في نظر الرجال . وقيل : أي نظر إليها ليغويها ويغوي ا ، أو يريد بالشيطان شيطان الإنس من أهل الفسق ". انتهى مختصرا .

ومن اللطائف في موضوع قرار المرأة في بيتها أن هذا الأمر معروف عند من قبلنا من الأمم الغابرة ، فهذه بنت صاحب مدين قالت لأبيها ﴿يا أبت استأجره﴾ ،

---

[٢] رواه أحمد (٧٦/٢) ، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لـ « المسند » (٣٣٧/٩) .

[٣] رواه الترمذي (١١٧٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وهو في « صحيح الترمذي » للألباني رحمه الله .

تقصد موسى عليه الصلاة والسلام ، ففي هذا إشارة إلى رغبتها في القرار في البيت ، وتحميل الرجل الأجير أعباء البيت الخارجية ، فسبحان من جعل الحياء وحب القرار في البيت جِبِلّةً في قلوب النساء .

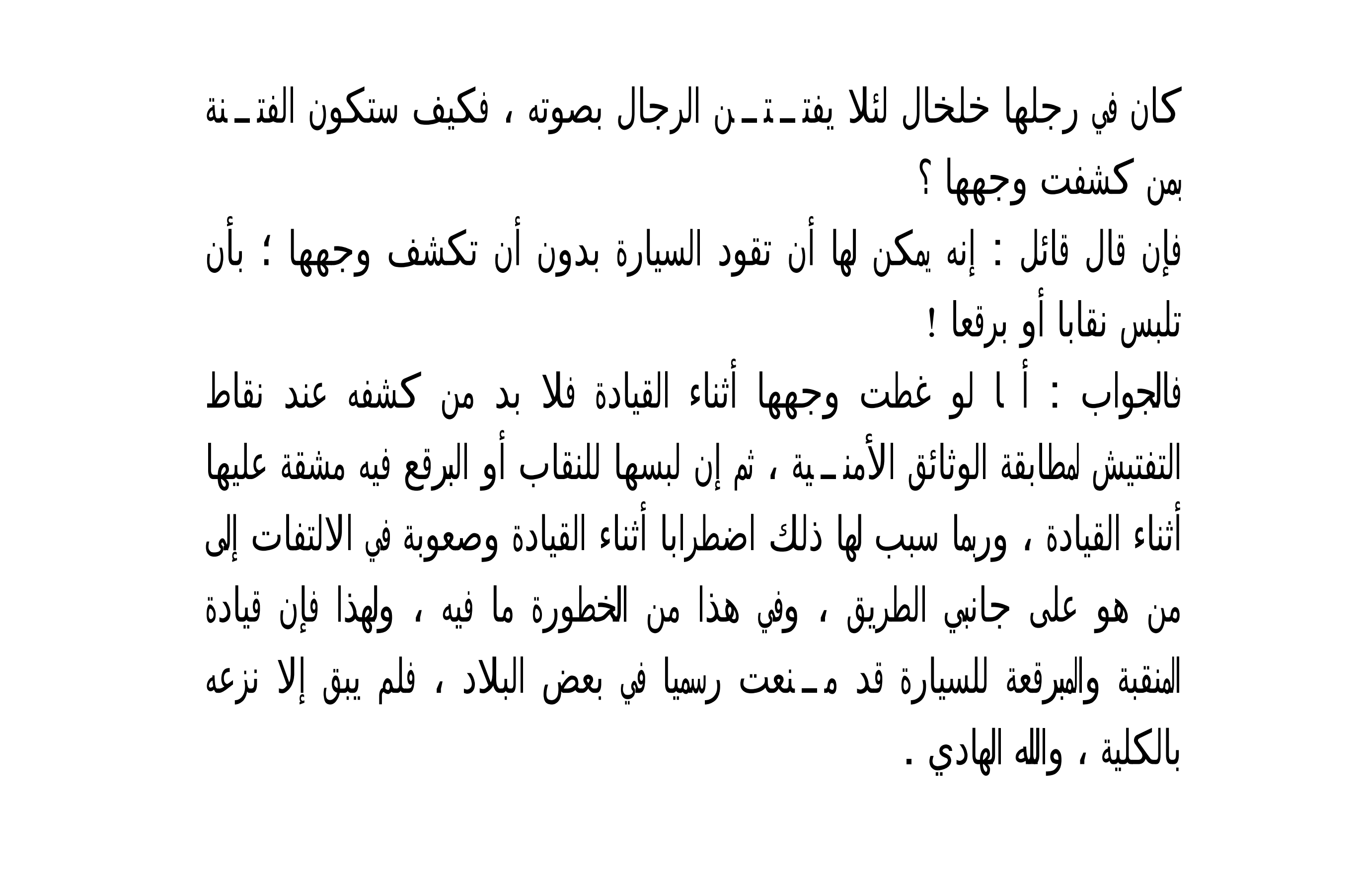
٢. إن كثرة خروج المرأة من منزلها يلزم منه كثرة تعرضها لأعين الناس المحيطين ا وإن كانت عفيفة ، ومن ثم تعلقهم ا ومعرفتهم لها كلما دخلت وخرجت ، ونزلت من السيارة أو ركبت ، وهذا من أعظم أسباب تعرض النساء للشرور ، لا سيما المرأة المتصفة بالزينة الظاهرة كالطول ونحوه ، هذا إذا افترضنا أنه لم يظهر منها شيء من زينتها الباطنة كالوجه والكفين والقدمين ونحو ذلك ، فكيف إذا ظهر ؟

٣. في قيادة المرأة للسيارة تسهيلا لبعدها عن عين الرقيب من الأولياء ، فربما زين لها الشيطان بذلك الاتصال بمن يحرم عليها الاتصال به ، أو الذهاب إلى أماكن بعيدة لفعل الفاحشة ، وقد لا يكون ذلك في أول الأمر ، ولكن الشيطان يزين لها ذلك شيئا فشيئا ، لا سيما مع كثرة المغريات والمثيرات لكلا الجنسين في الوقت الحاضر ، وكثرة الذئاب البشرية اللاهثة وراء الجنس ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم .[٤]

٤. إن قيادة المرأة للسيارة يلزم منه نزع حجا ا وكشف وجهها لتتمكن من القيادة ورؤية الطريق ، ومن المعلوم أن الوجه هو عنوان الجمال ، ومحط أنظار النساء والرجال ، وإذا كان الله قد ى المرأة عن أن تضرب برجلها إن

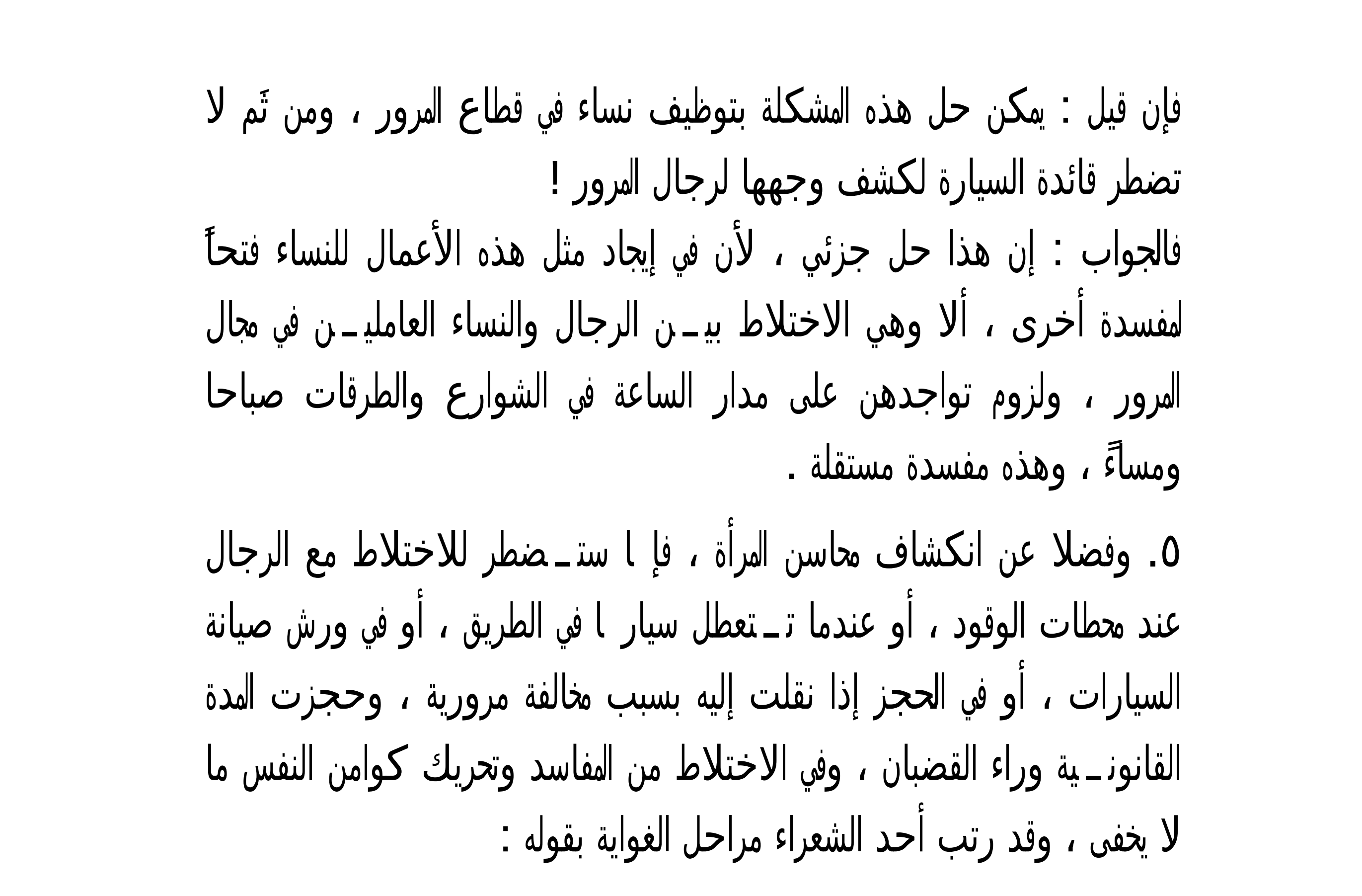
---

[٤] رواه البخاري (٢٠٣٨) ، ومسلم (٢١٧٤) عن علي بن الحسين رضي الله عنه .


كان في رجلها خلخال لئلا يفتــتــن الرجال بصوته ، فكيف ستكون الفتــنة بمن كشفت وجهها ؟

فإن قال قائل : إنه يمكن لها أن تقود السيارة بدون أن تكشف وجهها ؛ بأن تلبس نقابا أو برقعا !

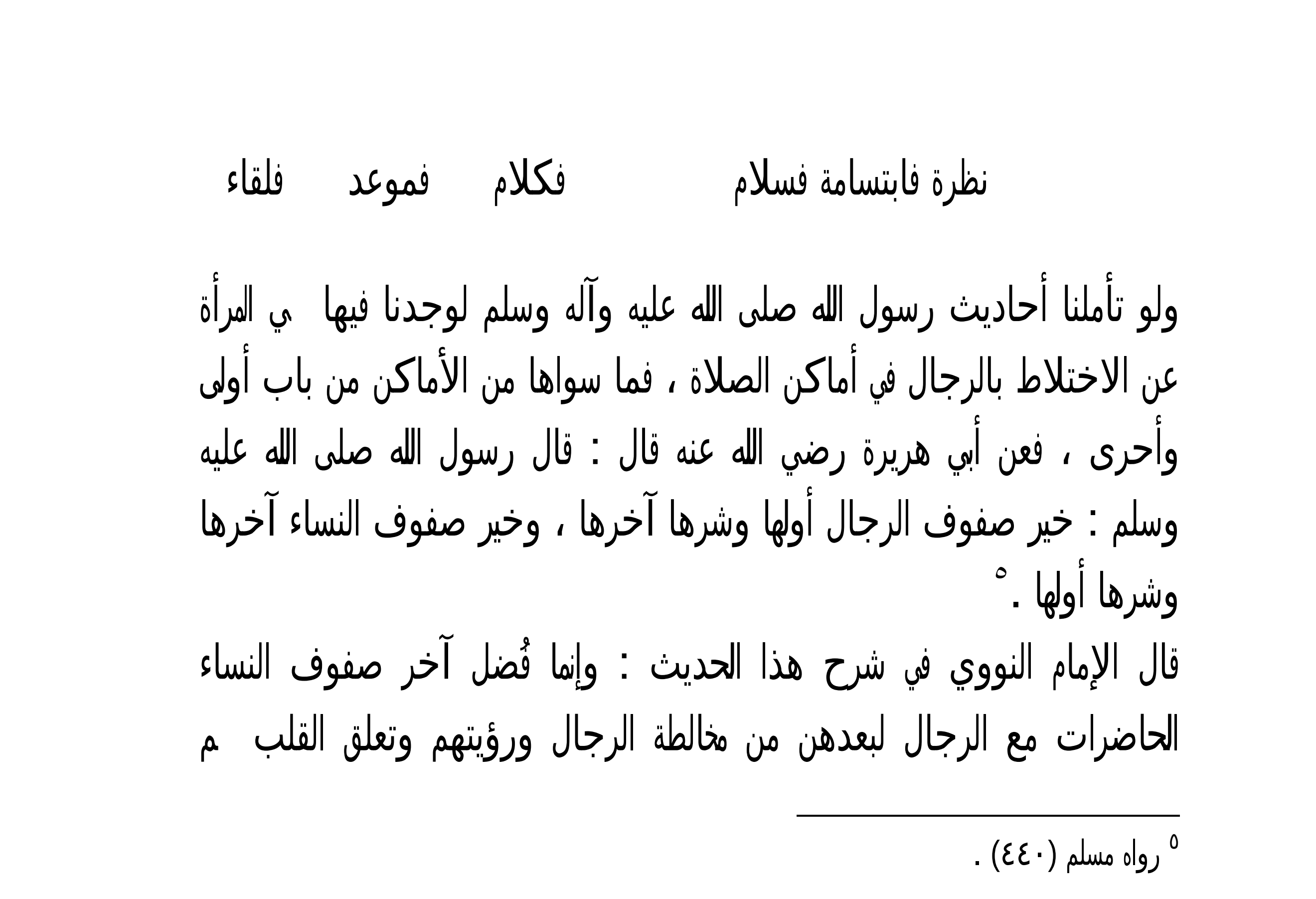
فالجواب : أ ا لو غطت وجهها أثناء القيادة فلا بد من كشفه عند نقاط التفتيش لمطابقة الوثائق الأمنــية ، ثم إن لبسها للنقاب أو البرقع فيه مشقة عليها أثناء القيادة ، وربما سبب لها ذلك اضطرابا أثناء القيادة وصعوبة في الالتفات إلى من هو على جانبي الطريق ، وفي هذا من الخطورة ما فيه ، ولهذا فإن قيادة المنقبة والمبرقعة للسيارة قد مــنعت رسميا في بعض البلاد ، فلم يبق إلا نزعه بالكلية ، والله الهادي .



فإن قيل : يمكن حل هذه المشكلة بتوظيف نساء في قطاع المرور ، ومن ثَم لا تضطر قائدة السيارة لكشف وجهها لرجال المرور !

فالجواب : إن هذا حل جزئي ، لأن في إيجاد مثل هذه الأعمال للنساء فتحاً لمفسدة أخرى ، ألا وهي الاختلاط بيـن الرجال والنساء العامليـن في مجال المرور ، ولزوم تواجدهن على مدار الساعة في الشوارع والطرقات صباحا ومساءً ، وهذه مفسدة مستقلة .

٥. وفضلا عن انكشاف محاسن المرأة ، فإ ا ستـضطر للاختلاط مع الرجال عند محطات الوقود ، أو عندما تـتعطل سيار ا في الطريق ، أو في ورش صيانة السيارات ، أو في الحجز إذا نقلت إليه بسبب مخالفة مرورية ، وحجزت المدة القانونـية وراء القضبان ، وفي الاختلاط من المفاسد وتحريك كوامن النفس ما لا يخفى ، وقد رتب أحد الشعراء مراحل الغواية بقوله :



نظرة فابتسامة فسلام   فكلام   فموعد   فلقاء

ولو تأملنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوجدنا فيها ي المرأة عن الاختلاط بالرجال في أماكن الصلاة ، فما سواها من الأماكن من باب أولى وأحرى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها .[٥]

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث : وإنما فُضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب م

---

[5] رواه مسلم (٤٤٠) .

عند رؤية حركا م وسماع كلامهم ونحو ذلك ، وذُم أول صفوفهن لعكس ذلك . انـتهى .

وعن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال للنساء : استأخرن ، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق[٦] ، عليكن بحافات الطريق . فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثو ا ليتعلق بالجدار من لصوقها به .[٧]

---

[٦] أي تركبن حـقـها ، أي وسطها « النهاية في غريب الأثر » .

[7] رواه أبو داود (٥٢٧٢) ، وهو في « صحيح أبي داود » للألباني رحمه الله .

قال مقيده عفا الله عنه : والناظر إلى حال النساء في الطرق والممرات وهن يمشين في الطرقات يرى عجبا ! فبعض النساء هداهن الله لا يخطر ببالها أن تبتعد عن وسط طريق الرجال ، حتى إن بعض الرجال يضطر إلى أن يفسح لهن الطريق ، وإلى الله المشتكى .

وعن هند بنت الحارث ، أن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ومكث يسيرا قبل أن يقوم .

قال ابن شهاب : فأرى ، والله أعلم ، أن مكثه لكي ينفذ[٨] النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم .[٩]

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو تركنا هذا الباب للنساء . قال نافع : فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات .[١٠]

---

8 أي يخرج .

٩ رواه البخاري (٨٧٣) وابن ماجه (٩٣٢) وأحمد (٦/٢٩٦-٢٩٧) .

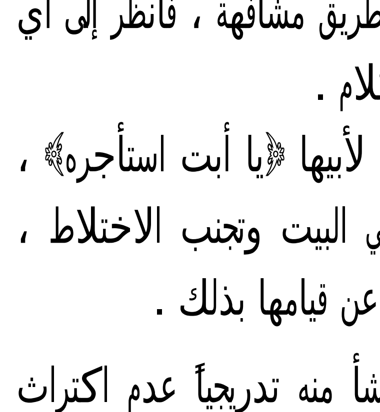
١٠ رواه أبو داود (٤٦٢) عن ابن عمر رضي الله عنه ، وهو في « صحيح أبي داود » للألباني رحمه الله .

ومن اللطائف في هذه الباب أن موسى صلى الله عليه وسلم لما توجه تلقاء مدين أتى على ماء ، فوجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دو م امرأتين تذودان غنمهما عن الماء[11] ، فلما سألهما : ما خطبكما ، ولماذا أنتما بمعزل عن الناس ؟ قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاء ، أي ينصرف الرعاة عن الماء فنسقي نحن لئلا نختلط م .

ولفتة أخرى ، لما سقى لهما وانصرفتا رجعت أحداهما إلى موسى عليه الصلاة والسلام فقالت له ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ ، فلما ذهبا إلى بيت أبيها كان بينهما مسافة ، وكان موسى صلى الله عليه وسلم هو المتقدم ، ولم تكن تدله على الطريق بالكلام ، بل جاءت الأخبار بأ ا كانت ترمي له بحجر فيقع عن يمينه إشارة إلى أن الطريق ينحرف يمينا ، أو ترمي له بحجر عن

11 وقد تقدمت الإشارة إلى أحدهما .

يساره إشارة إلى أن الطريق ينحرف يسارا ، حتى وصلا إلى بيت أبيها ، ولم تسِـر معه إلى جانبه أو أمامه أو حتى تصف له الطريق مشافهةً ، فانظر إلى أي حد بلغ م التعفف عن مخالطة الرجال حتى في الكلام .



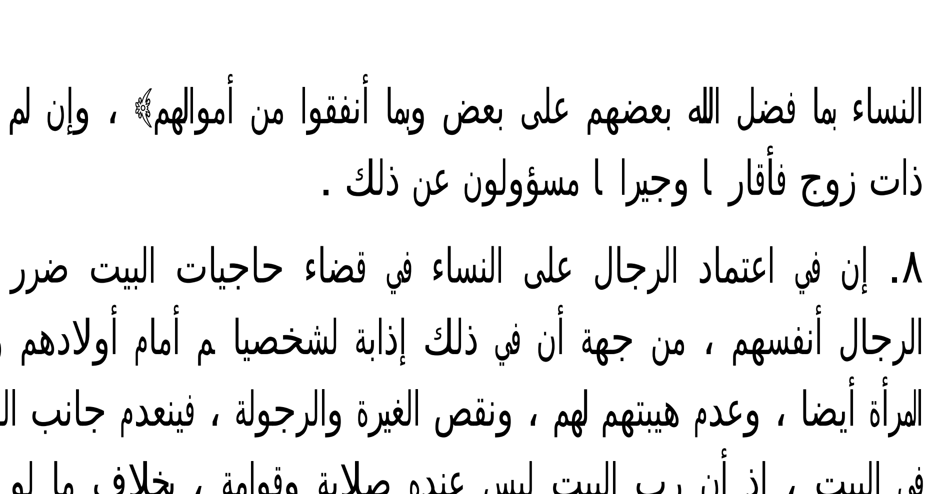
وقد تقدمت الإشارة إلى قول بنت صاحب مدين لأبيها ﴿يا أبت استأجره﴾ ، وما في هذا من الإشارة إلى رغبتها في القرار في البيت وتجنب الاختلاط ، وتحميل الرجل الأجير أعباء البيت الخارجية عوضا عن قيامها بذلك .

٦. إن اعتياد المرأة للخروج من المنـزل سيـنشأ منه تدريجياً عدم اكتراث الزوج من خروج زوجته وتطبعه على ذلك ، لأن وجود السيارة مدعاة لكثرة الخروج كما أسلفنا ، وسيسأم الزوج من سؤال امرأته كلما خرجت أين خرجت ، وعند حصول عدم الاكتراث من الزوج فلا تسأل عن انفتاح أبواب الشر أمام المرأة .

٧. إن قيادة المرأة للسيارة ينشأ عنه غالبا اعتماد الرجل على زوجته في قضاء حاجيات البيت ؛ كتوصيل الأولاد إلى المدرسة ، وشراء الأغراض المنـزلية ونحو ذلك ، بل ربما تطلـب منها الأمر السفر إلى المدن المجاورة لاستكمال شراء الحاجيات الغير متوفرة في بلدها ، كما هو مشاهد في بعض المجتمعات ، وفي هذا من إرهاق المرأة بالواجبات المنـزلية وتحميلها واجبات غيرها ما لا يخفى .

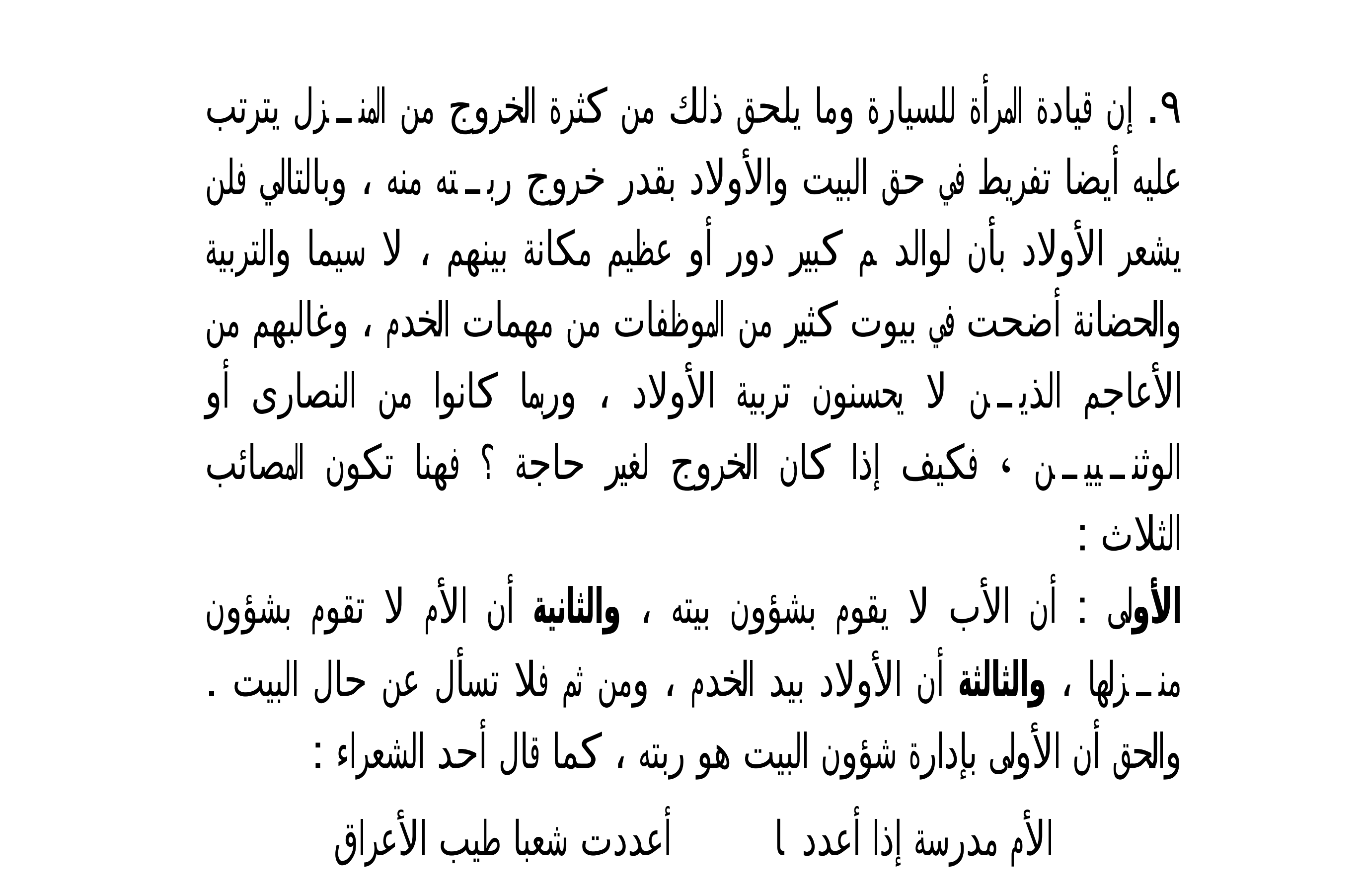
وهنا قد يقول قائل : إن المرأة في بيتها مدبـرة لشؤون حياتها الزوجية ، ألا يستدعي هذا السماح لها بقيادة السيارة لقضاء حاجياتها المنـزلية من الخارج ؟

فالجواب : إن هذا الاقتضاء غير صحيح ، فإن المرأة إن كانـت ذات زوج ؛ فزوجها مسؤول عن تأميـن حاجيات المنزل ، مباشرة ، أو عن طريق خادم يقوم بتلبية طلبات المنـزل من خارجه ، كما قال تعالى الرجال قوامون على



النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ ، وإن لم تكن ذات زوج فأقار ا وجيرا ا مسؤولون عن ذلك .

٨. إن في اعتماد الرجال على النساء في قضاء حاجيات البيت ضرر على الرجال أنفسهم ، من جهة أن في ذلك إذابة لشخصيا م أمام أولادهم وأمام المرأة أيضا ، وعدم هيبتهم لهم ، ونقص الغيرة والرجولة ، فينعدم جانب القدوة في البيت ، إذ أن رب البيت ليس عنده صلابة وقوامة ، بخلاف ما لو كان الرجل هو القائم على شئون البيت الداخلية والخارجية ، فإنه سيكون له مكانة وهيبة ، وسينعكس ذلك إيجابيا على الانضباط في البيت ، والشعور بوجود الأب وعظيم مكانته ، والله المستعان .



٩. إن قيادة المرأة للسيارة وما يلحق ذلك من كثرة الخروج من المنـزل يترتب عليه أيضا تفريط في حق البيت والأولاد بقدر خروج ربـته منه ، وبالتالي فلن يشعر الأولاد بأن لوالدهم كبير دور أو عظيم مكانة بينهم ، لا سيما والتربية والحضانة أضحت في بيوت كثير من الموظفات من مهمات الخدم ، وغالبهم من الأعاجم الذيـن لا يحسنون تربية الأولاد ، وربما كانوا من النصارى أو الوثنـييـن ، فكيف إذا كان الخروج لغير حاجة ؟ فهنا تكون المصائب الثلاث :

الأولى : أن الأب لا يقوم بشؤون بيته ، **والثانية** أن الأم لا تقوم بشؤون منـزلها ، **والثالثة** أن الأولاد بيد الخدم ، ومن ثم فلا تسأل عن حال البيت .

والحق أن الأولى بإدارة شؤون البيت هو ربته ، كما قال أحد الشعراء :

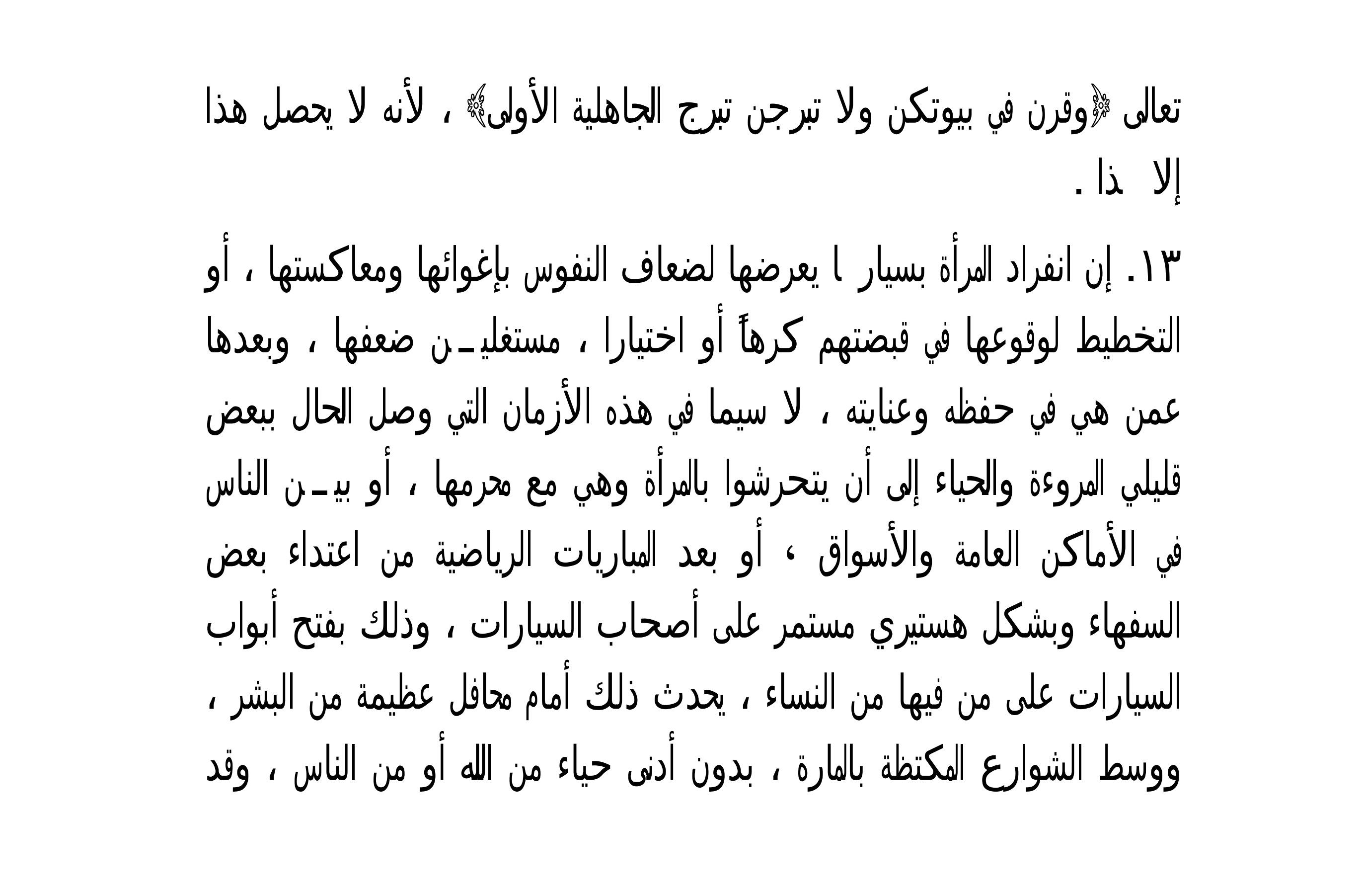
الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

١٠. إن كثرة خروج المرأة مدعاة لحصول الشكوك بين الزوجين ، إذ إن الزوج لن يأمن أن تكون زوجته على اتصال بغيره ، لسهولة وقوع ذلك لما صار أمر خروجها بيدها ، وتتأكد تلك الشكوك كلما حصل تأخير في رجوع المرأة إلى البيت ، أو خروج بدون إذنه ، أو إذا خرجت متزينة ، وإذا وقعت الشكوك بين الزوجين فلا تسأل عن العلاقة بينهما كيف تصير ، بل ربما صارت قيادة المرأة للسيارة رافداً قوياً وسبباً جديداً من أسباب الطلاق في ا تمع ، بخلاف المرأة اللازمة بيتها فإن زوجها آمن عليها ، مطمئن لها .

١١. إن كثرة خروج المرأة من المنزل سبب في سقوطها من أعين الناس المحافظين على دينهم وقيمهم ، فلن يرغب ا الرجال الأخيار ، ولو رغبوا فيها فالغالب أن العلاقة بينهما لا تستمر ، لأ ا ستكون مسترجلة ، تشعر بإمكانية استقلالها عن زوجها ، واستغنائها عنه ، لا سيما إذا انضاف إلى

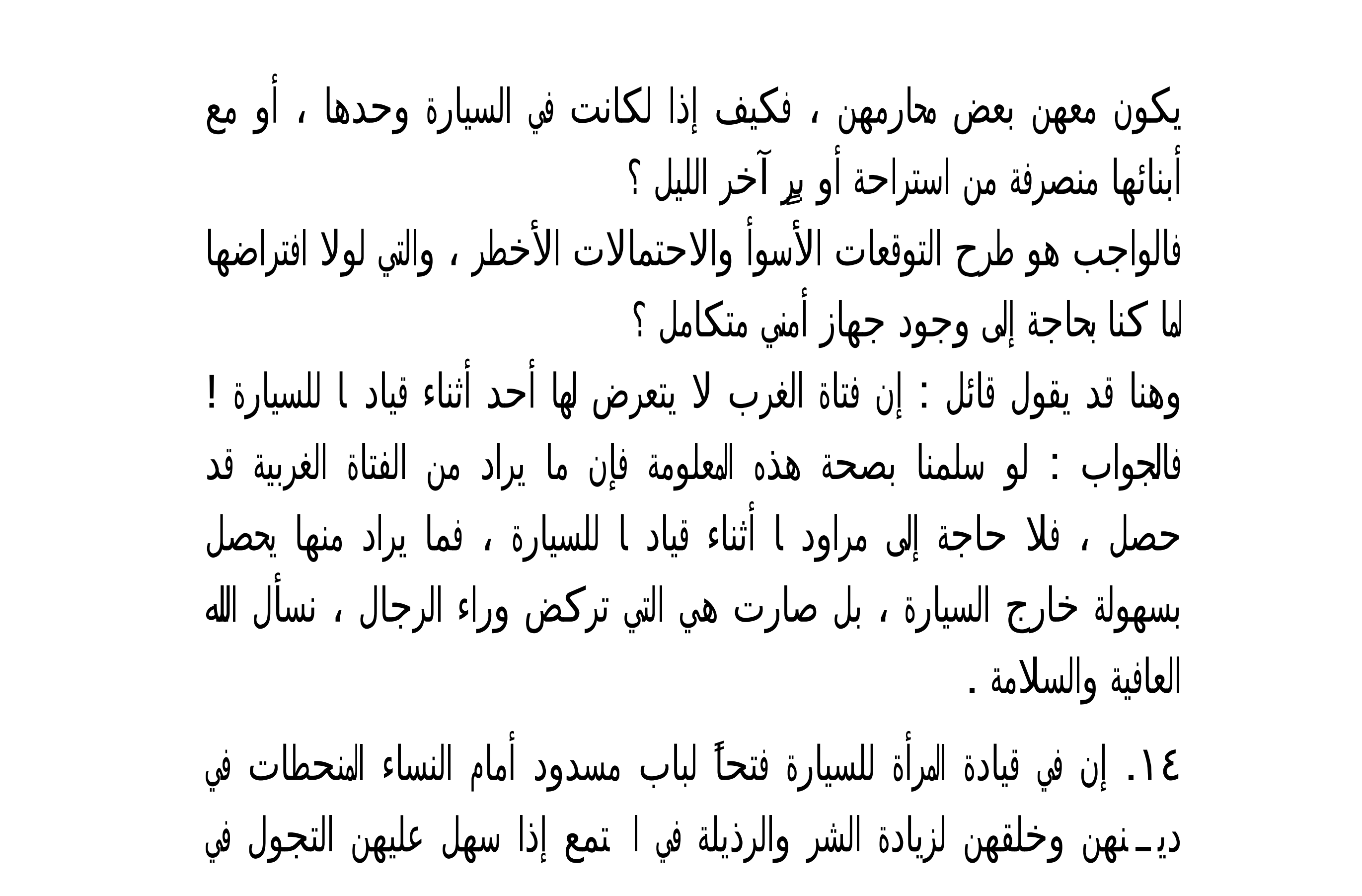
قياد ا للسيارة حصولها على دخل شهري ، فستشعر حينها أ ا ليست بحاجته ، لأ ا صارت مثله تماما ، تقضي حاجيا ا بنفسها ، وهو الأمر المؤدي غالبا إلى الطلاق ، لأن الرجل بفطرته يريد أن تكون له المرجعية في البيت ، بينما هي تعتبر قوامته عليها نقصا في قدرها ، وحطا من مكانتها ، ولهذا فإن نسبة الطلاق في البلاد التي يكثر فيها خروج النساء عالية جدا .

١٢. إن في كثرة خروج المرأة من بيتها إذهاباً لحياء المرأة وأنوثتها ، وخروجاً لها عن طبيعتها ، فإنك ترى المرأة الخراجة الولاجة قليلة الحياء ، عالية الصوت ، لا تشبه بنات جنسها في حيائها وعفتها ، بخلاف المرأة القليلة الخروج من بيتها ، القليلة الاحتكاك بالرجال ، فإنك تراها حيـية ، خافضة الصوت ، قاصرة الطرف ، ولهذا قرن الله العفاف بالقرار في البيت في سورة الأحزاب في قوله



تعالى ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ ، لأنه لا يحصل هذا إلا ـذا .

١٣. إن انفراد المرأة بسيار ا يعرضها لضعاف النفوس بإغوائها ومعاكستها ، أو التخطيط لوقوعها في قبضتهم كرهاً أو اختيارا ، مستغليـن ضعفها ، وبعدها عمن هي في حفظه وعنايته ، لا سيما في هذه الأزمان التي وصل الحال ببعض قليلي المروءة والحياء إلى أن يتحرشوا بالمرأة وهي مع محرمها ، أو بيـن الناس في الأماكن العامة والأسواق ، أو بعد المباريات الرياضية من اعتداء بعض السفهاء وبشكل هستيري مستمر على أصحاب السيارات ، وذلك بفتح أبواب السيارات على من فيها من النساء ، يحدث ذلك أمام محافل عظيمة من البشر ، ووسط الشوارع المكتظة بالمارة ، بدون أدنى حياء من الله أو من الناس ، وقد



يكون معهن بعض محارمهن ، فكيف إذا لكانت في السيارة وحدها ، أو مع أبنائها منصرفة من استراحة أو بِرٍ آخر الليل ؟

فالواجب هو طرح التوقعات الأسوأ والاحتمالات الأخطر ، والتي لولا افتراضها لما كنا بحاجة إلى وجود جهاز أمني متكامل ؟

وهنا قد يقول قائل : إن فتاة الغرب لا يتعرض لها أحد أثناء قياد ا للسيارة !

فالجواب : لو سلمنا بصحة هذه المعلومة فإن ما يراد من الفتاة الغربية قد حصل ، فلا حاجة إلى مراود ا أثناء قياد ا للسيارة ، فما يراد منها يحصل بسهولة خارج السيارة ، بل صارت هي التي تركض وراء الرجال ، نسأل الله العافية والسلامة .

١٤. إن في قيادة المرأة للسيارة فتحاً لباب مسدود أمام النساء المنحطات في ديـنهن وخلقهن لزيادة الشر والرذيلة في ا تمع إذا سهل عليهن التجول في

طول البلاد وعرضها ، بينما في منعهن عن القيادة تضييق عليهن وهو الواجب ، لقوله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ؛ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم .[١٢]

١٥. إن مطالبة بعض النساء هداهن الله لقيادة السيارة ليس نابعا من حاجتهن لذلك ، وإنما هو تقليد للغرب الكافر ، أو تقليد لنساء بعض البلدان التي تأثرت بالاستعمار طويلا ، أو بدافع الإعجاب بالنفس وحب الظهور والتفاخر أمام بنات جنسهن ، فالدافع هو اتباع الهوى ليس إلا ، وقد ى الله عموم الناس عن اتباع الهوى فقال ﴿ولا تـتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾.

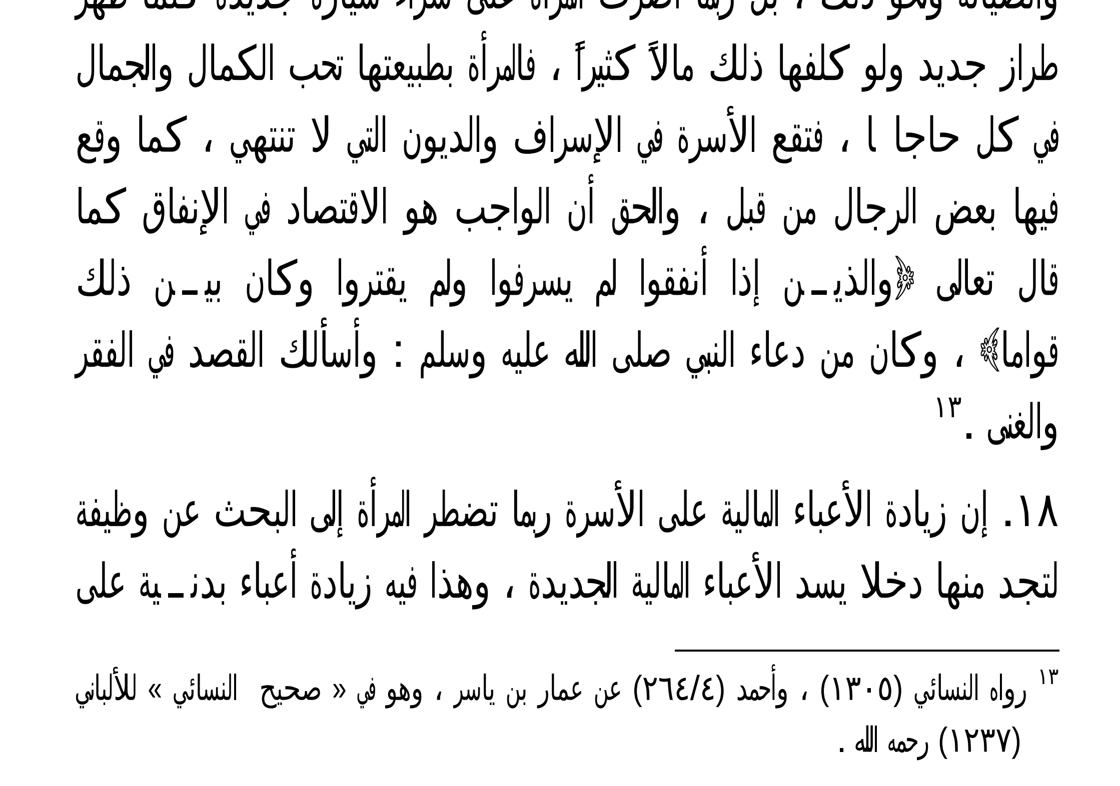
---

[12] رواه الترمذي (٢١٦٩) ، وأحمد (٣٨٨/٥-٣٨٩) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله في « صحيح الترمذي » .

فالواجب أن يكون الإنسان معتزا بدينه وبعاداته التي ليس فيها مخالفة للشريعة ، وألا يكون ذنبا لغيره ، فهذا ضعف وخور ، وذل وتـبعية .

١٦. إن مما لا شك فيه أن حوادث السيارات أمر منـتشر كثيرا في المدن ، وفي قيادة المرأة للسيارة مضاعفة لتلك الحوادث ، لأن عدد السيارات سيزيد تلقائيا ، والمرأة ضعيفة السيطرة على نفسها ، لا سيما إذا حدث أمر مفزع ، كانفجار إطار ، أو اعتراض شخص أو سيارة أمامها ، فإذا داهمها الخطر ربما عجزت عن التصرف ، فهلكت أو أهلكت ، ناهيك عما يحصل في الحوادث من انكشاف العورات ، والله الحافظ .

١٧. إن قيادة المرأة للسيارة سيترتب عليها زيادة أعباء مالية على كاهل الأسرة بدون ضرورة ، وذلك بقيمة السيارة ، وما يتـبع ذلك من مصاريف الوقود



والصيانة ونحو ذلك ، بل ربما أصرت المرأة على شراء سيارة جديدة كلما ظهر طراز جديد ولو كلفها ذلك مالاً كثيراً ، فالمرأة بطبيعتها تحب الكمال والجمال في كل حاجا ا ، فتقع الأسرة في الإسراف والديون التي لا تنتهي ، كما وقع فيها بعض الرجال من قبل ، والحق أن الواجب هو الاقتصاد في الإنفاق كما قال تعالى ﴿والذيـن إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بيـن ذلك قواما﴾ ، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : وأسألك القصد في الفقر والغنى .[١٣]

١٨. إن زيادة الأعباء المالية على الأسرة ربما تضطر المرأة إلى البحث عن وظيفة لتجد منها دخلا يسد الأعباء المالية الجديدة ، وهذا فيه زيادة أعباء بدنـية على

---

[١٣] رواه النسائي (١٣٠٥) ، وأحمد (٢٦٤/٤) عن عمار بن ياسر ، وهو في « صحيح النسائي » للألباني (١٢٣٧) رحمه الله .

المرأة ، كما أن فيه تفريطاً بحقوق البيت الذي تركته للخدم بدون حاجة ماسة ، ثم الطامة الكبرى وهي الاختلاط بالرجال في ميادين العمل إن كانت في بلاد تسمح باختلاط الرجال بالنساء ، نسأل الله العافية .

١٩. إن في قيادة المرأة للسيارة فتح باب لشرور كثيرة أخرى تأتي تبعا ، كفقدان الاستقرار البـيتي ، والسفر بدون محرم ، والخلوة بالرجال الأجانب ، ولن يستطيع أحد أن يضبط ذلك كله ، لا أهل الحسبة ولا رب البيت ولا حتى ولي الأمر ، بخلاف المرأة اللازمة بيتها فإن أولادها سيشعرون بدفء الأمومة وجمال الاستقرار الأسري ، وتربيتهم على العفة والحياء ، وشعورهم بمكانة والدهم في البيت ، ووجود الترابط فيما بيـنهم لكثرة اجتماعهم في البيت ، بخلاف الأسرة التي كلما دخل واحد خرج الآخر .

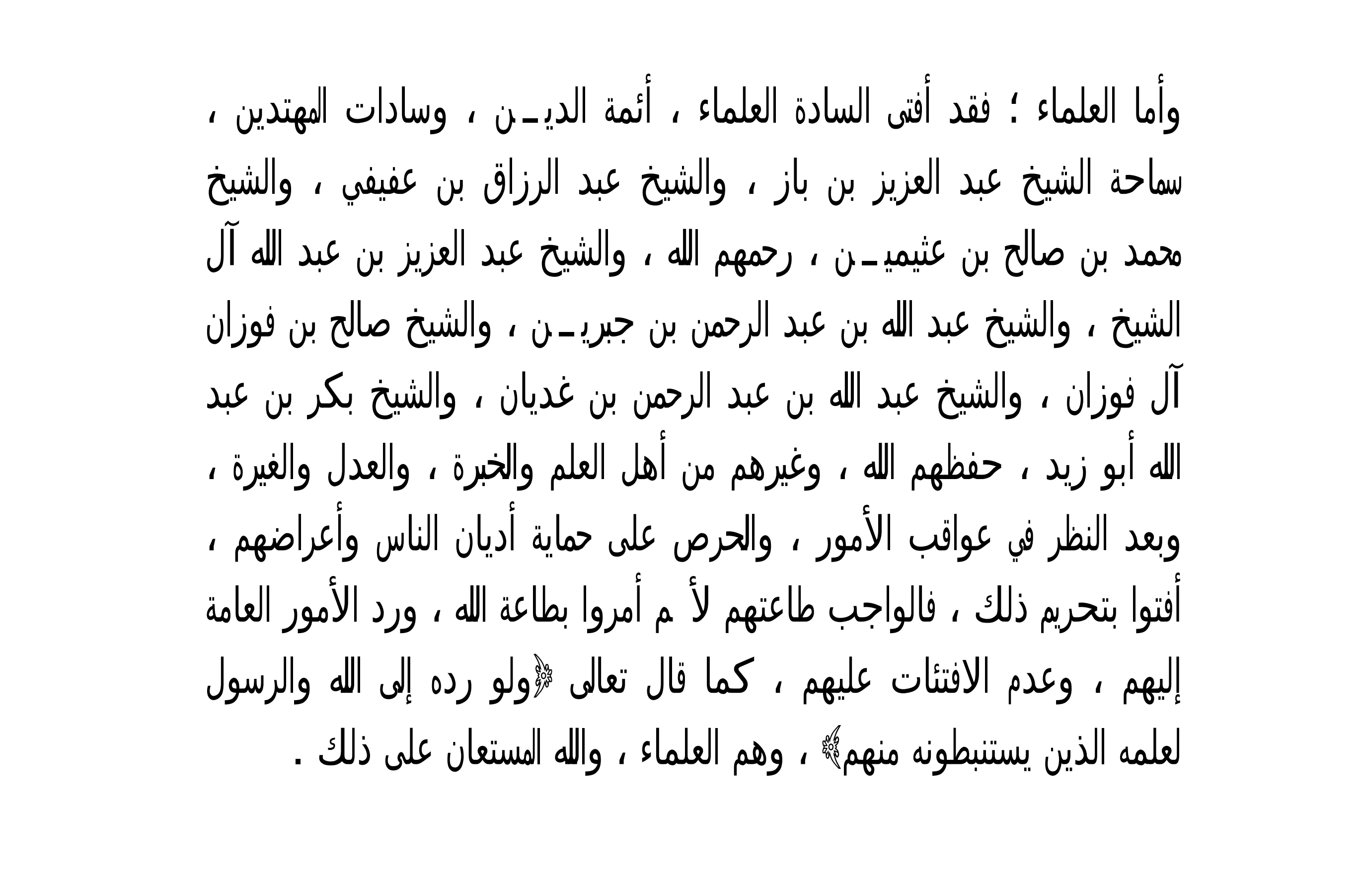
٢٠. إن في المطالبة بقيادة المرأة معصية لولاة الأمور وهم الأمراء والعلماء ، والواجب طاعتهم ، لأن طاعتهم طاعة لله تعالى ، ومعصيتهم معصية لله تعالى ، كما قال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ .

وقال الرسول ﷺ : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني .[١٤]

فأما الأمراء فإن ولاة الأمر في هذه البلاد حرسها الله منذ إنشائها قد أغلقوا هذا الباب ، فقد بيـن وزير الداخلية ، وهو رجل الأمن الأول ، عدة مرات ، أن هذا الأمر مرفوض في مجتمعنا ، وليس عند الحكومة أدنى توجه لذلك .

---

[14] رواه البخاري (٢٩٥٧) ، ومسلم (١٨٣٥) ، وأحمد (٢٧٣٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .



وأما العلماء ؛ فقد أفتى السادة العلماء ، أئمة الديـن ، وسادات المهتدين ، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الرزاق بن عفيفي ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيميـن ، رحمهم الله ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبريـن ، والشيخ صالح بن فوزان آل فوزان ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان ، والشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، حفظهم الله ، وغيرهم من أهل العلم والخبرة ، والعدل والغيرة ، وبعد النظر في عواقب الأمور ، والحرص على حماية أديان الناس وأعراضهم ، أفتوا بتحريم ذلك ، فالواجب طاعتهم لأنهم أمروا بطاعة الله ، ورد الأمور العامة إليهم ، وعدم الافتئات عليهم ، كما قال تعالى ﴿ولو ردوه إلى الله والرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ، وهم العلماء ، والله المستعان على ذلك .

شبهات والجواب عليها

يحتج بعضهم بالضرورة ، ويقول : إن هناك أُسراً لا يوجد من يعولهم ، وأرامل لا ولي يقوم على شؤو م ، والسماح لنساء هؤلاء بالقيادة فيه دفع لحاجتهم ، وتخفيف لضرور م !

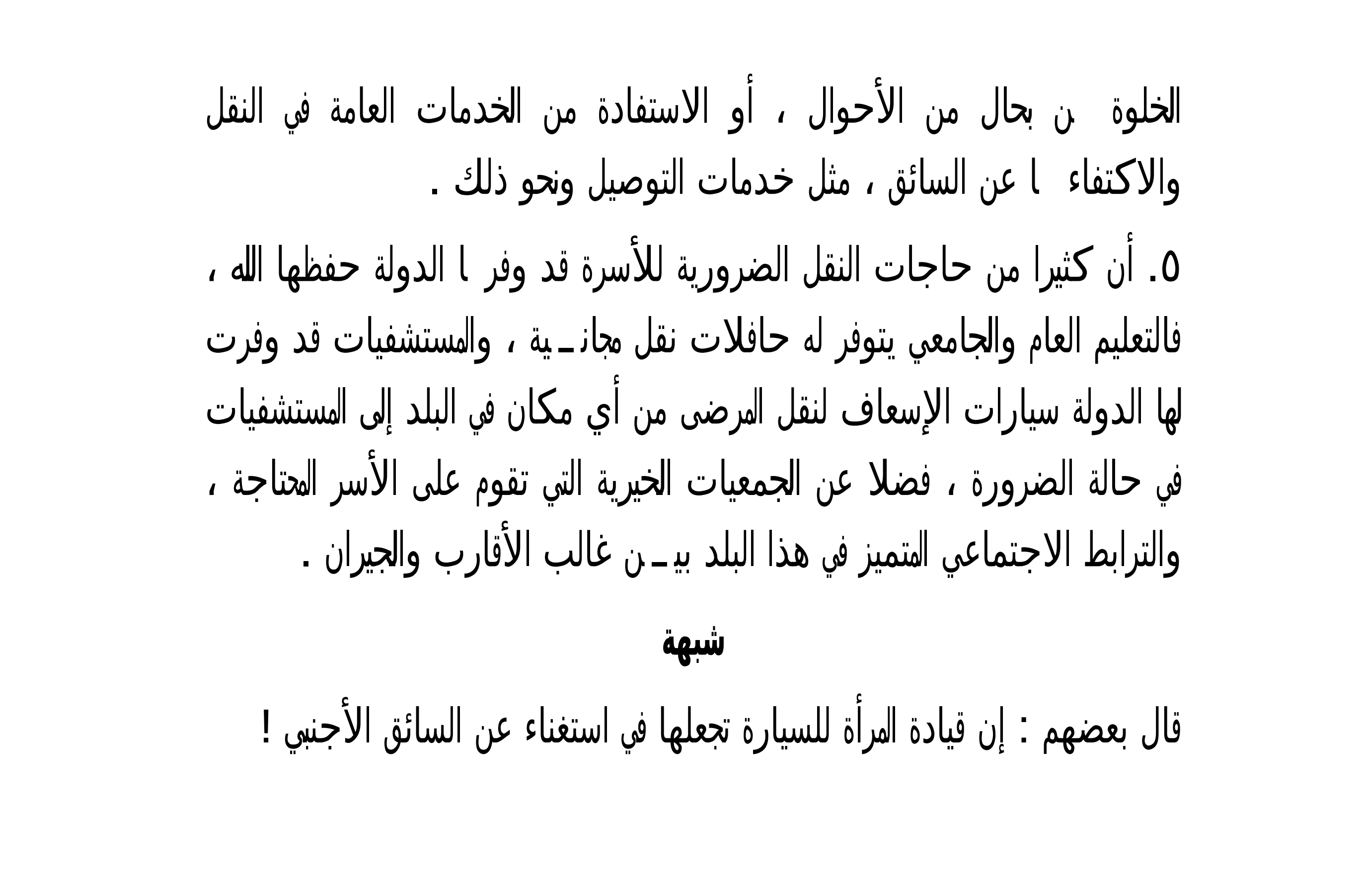
والجواب أن هذا القول باطل من خمسة وجوه :

١. أن أحكام الشرع مبنـية على المصلحة الراجحة ، لا المصلحة المغمورة ، ولا يشك منصف في ترجح مفاسد قيادة المرأة للسيارة على مصالحها ، لكون المصلحة المذكورة تختص بفئة قليلة من ا تمع - لو سلمنا بذلك - ، أما المفسدة العامة فعلى ا تمع بأكمله ، فليس من الحكمة في شيء أن يغض النظر عن المفاسد الكبيرة في سبيل تحقيق مصالح يسيرة .

٢. أن غالب المطالبيـن والمطالبات بقيادة المرأة هم من الموسريـن ، وليسوا من المعسريـن ، بدليل أنك تجد عند الواحد منهم عدة سيارات ، بل لكل منهم في الغالب سائق أو عدة سائقيـن ، فدل ذلك على أن هذه الحجة غير صحيحة ، وأن للمطالبيـن رغبات وأهدافاً أخرى ، وليس المقصود نصرة الأرامل ، فتلك ((شنشنة نعرفها من أخزم)) ، وإن وراء الأكمة ما وراءها !

٣. أن الأرامل والمحتاجات في ا تمع لن يستفدن من السماح للمرأة بقيادة السيارة شيئا ، لأن غالبهن لا يستطيع شراء السيارة فضلاً عن تحمل تبعا ا ، لكو ن لا يستطعن تحمل تبعات بيو ن أصلا !

٤. أن أمهات الأسر الفقيرة إذا كن بحاجة إلى قيادة السيارة فليحضرن سائقاً يقضيـن به ضرور ن ، مع مراعاة الضوابط الشرعية ، وعلى رأسها عدم



الخلوة ن بحال من الأحوال ، أو الاستفادة من الخدمات العامة في النقل والاكتفاء ا عن السائق ، مثل خدمات التوصيل ونحو ذلك .

٥. أن كثيرا من حاجات النقل الضرورية للأسرة قد وفر ا الدولة حفظها الله ، فالتعليم العام والجامعي يتوفر له حافلات نقل مجانـية ، والمستشفيات قد وفرت لها الدولة سيارات الإسعاف لنقل المرضى من أي مكان في البلد إلى المستشفيات في حالة الضرورة ، فضلا عن الجمعيات الخيرية التي تقوم على الأسر المحتاجة ، والترابط الاجتماعي المتميز في هذا البلد بيـن غالب الأقارب والجيران .

شبهة

قال بعضهم : إن قيادة المرأة للسيارة تجعلها في استغناء عن السائق الأجنبي !

فالجواب أن الحال في دول الخليج التي سمحت بقيادة المرأة خير شاهد على بطلان هذا الكلام ، ففي الوقت الذي تقود المرأة عندهم السيارة يوجد السائقون في معظم البيوت ، بسبب أن قيادة المرأة كما ذكرنا لم تكن للحاجة غالبا ، بل هي غالبا من قبيل الترفه ، فلم يستغنوا ا عن السائق الأجنبي .

شبهة

قال بعضهم : إن في قيادة المرأة للسيارة صيانة لها ، وسدا لعوزها عن الأجانب في حالة حصول حادث وإصابة سائق السيارة .

والجواب من وجهين :

الوجه الأول : أن الحكم ينبغي أن يناط بالأحوال العادية العامة ، لا الأحوال النادرة الوقوع ، ولو سوغنا للمرأة قيادة السيارة لهذه الأسباب الغير عادية فإنه

لا بد حينئذ أن نطالب بأن تتعلم المرأة قيادة الطائرة ! لأن ما يحدث على الأرض قد يقع في السماء ، والكارثة الجوية أخطر والضحايا بالتأكيد أكثر .

فإن قيل إن الطائرة فيها رجال كثيرون قد يتولون هذه المهمة ، فالجواب أن الرجال على الأرض في حالة السيارات أكثر .[15]

شبهة

فإن قيل : إن السماح للمرأة بالقيادة سيوفر للاقتصاد الداخلي مبالغ ضخمة متمثلة في رواتب السائقين التي تحول شهريا خارج البلاد !

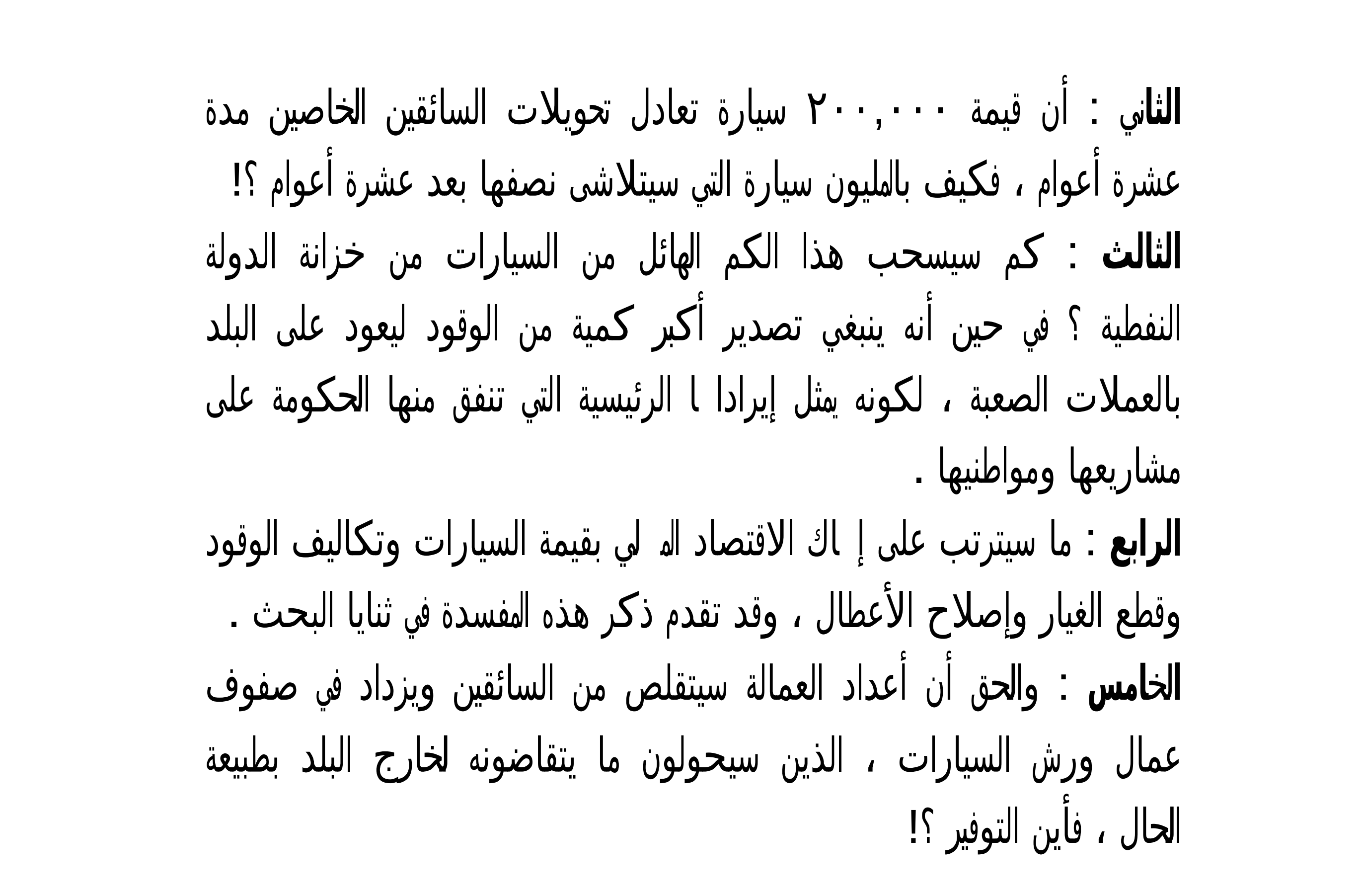
فالجواب : أن هذا الإيراد قاصر من عشرة وجوه :

---

[15] بتصرف من مقال نشر في جريدة الاقتصادية بعنوان « النساء لا يصلحن لقيادة السيارة في بلادنا وهذه مبرراتي » ، لمحمد بن عبد الله آل الشيخ جزاه الله خيرا .

الأول : أن الإحصاءات الأخيرة تفيد أن عدد السائقين الخاصين يزيد على النصف مليون شيئا قليلا ، ولـكن أسخياء مع من يثير هذه الشبهة ، ولنقل أ م ثمانمائة ألف سائق ، وأن كل سائق يتقاضى ألف ريال شهريا - بالمتوسط - ، فعلى هذا ستبلغ التحويلات الشهرية ثمانمائة مليون ريال ، والسنوية عشر مليارات ريال ، هذا في كِـفة .

وفي الكِـفة الأخرى ، فالإذن بقيادة المرأة للسيارة سيجعل شراء مليون سيارة أمرا حتميا (للسائقات الجدد) ، سواء من الموظفات أو غيرهن ، وهذا بحد ذاته سيكلف الاقتصاد السعودي في سنوات قليلة أربعين مليار ريال سعودي ، وهي قيمة السيارات المشتراة إذا كان متوسط أسعار تلك السيارات أربعون ألف ريال ، ناهيك عن تكرر هذا الرقم كلما استبدل النساء سيارا ن كل خمس سنوات ؟ **فأين الثرى من الثريا ؟**



الثاني : أن قيمة ٢٠٠,٠٠٠ سيارة تعادل تحويلات السائقين الخاصين مدة عشرة أعوام ، فكيف بالمليون سيارة التي سيتلاشى نصفها بعد عشرة أعوام ؟!

الثالث : كم سيسحب هذا الكم الهائل من السيارات من خزانة الدولة النفطية ؟ في حين أنه ينبغي تصدير أكبر كمية من الوقود ليعود على البلد بالعملات الصعبة ، لكونه يمثل إيرادا ا الرئيسية التي تنفق منها الحكومة على مشاريعها ومواطنيها .

الرابع : ما سيترتب على إ اك الاقتصاد الم لي بقيمة السيارات وتكاليف الوقود وقطع الغيار وإصلاح الأعطال ، وقد تقدم ذكر هذه المفسدة في ثنايا البحث .

الخامس : والحق أن أعداد العمالة سيتقلص من السائقين ويزداد في صفوف عمال ورش السيارات ، الذين سيحولون ما يتقاضونه لخارج البلد بطبيعة الحال ، فأين التوفير ؟!

السادس : هل فكر أولئك (الغيورون) على اقتصاد البلد في الإ اك الاقتصادي المـُتحتم لخزانة الدولة لتنفيذ مشاريع توسعة ضخمة في الشوارع الرئيسية بسبب الزحام الذي سيتسبب فيه السماح للمرأة بقيادة السيارة وأثره على انسيابية الحركة لا سيما في أوقات الذروة أو في حالات الحوادث ؟

السابع : هل فكر أولئك (الغيورون) على اقتصاد البلد في الإ اك الأمني المترتب على المطاردات الأمنية للمتطاولين على حرمات سائقات السيارة بمعاكستهن والتحرش ن في طول البلاد وعرضها ؟ ولست بمفش سرا إذا أحلت القارئ على حالات المطاردة للنساء وهن لم يسقن السيارات بعد ، فكيف إذا انفردن ا ؟

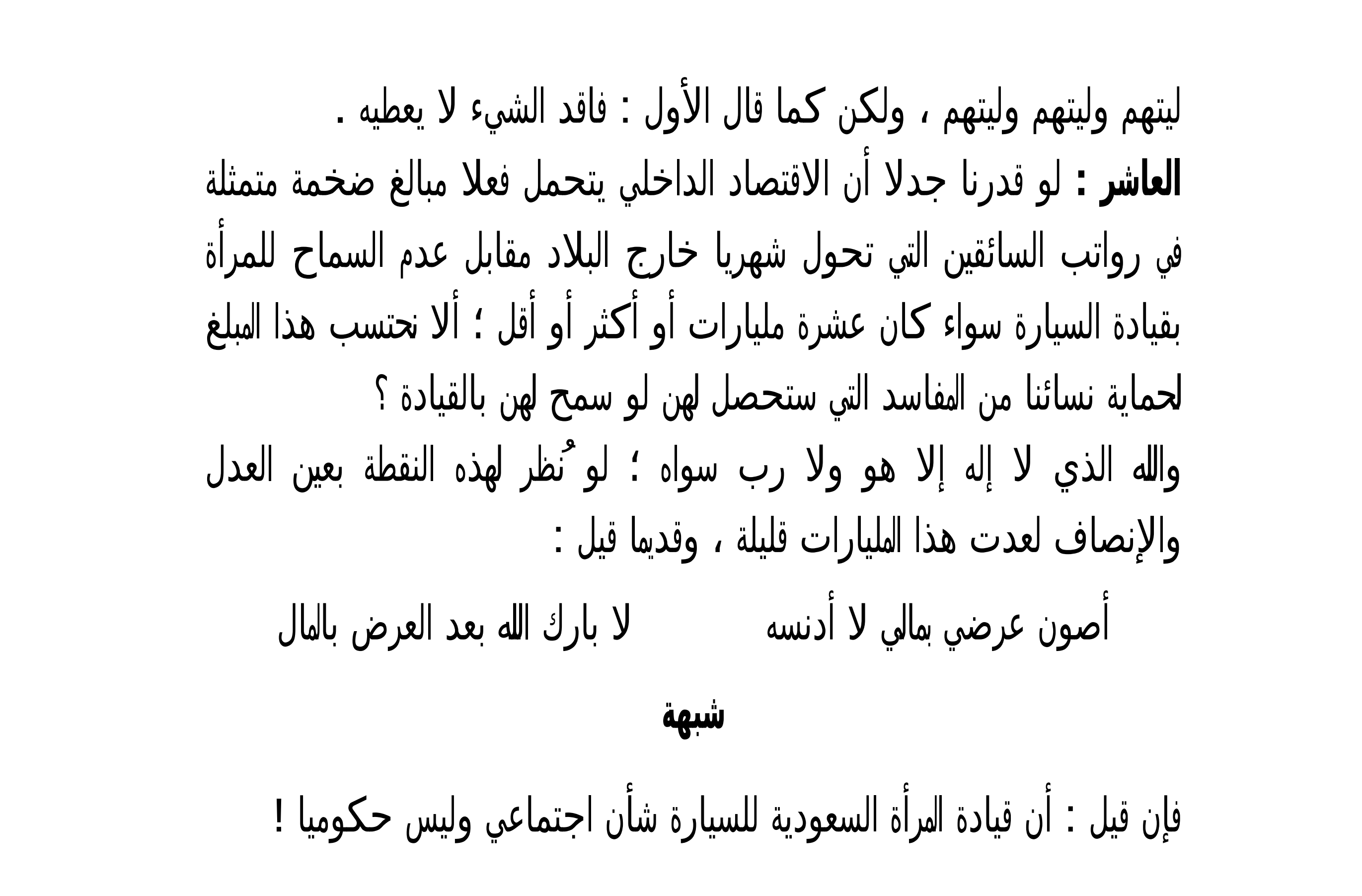
الثامن : وقد كان الأولى بأولئك أن يطالبوا بتوطين (سعودة) جميع سيارات الأجرة ، بدلا من إحلال سائقي سيارات المـ ل (بالسعوديات) ، مما يعود نفعه

حتما على شريحة غير المتعلمين في البلد وسد عوزهم إلى حد كبير ، ومن المعلوم أن أعداد سائقي سيارات الأجرة الوافدين أعظم بكثير من أعداد سائقي السيارات الخاصة ، وليس هناك مقارنة بين تحويلات هؤلاء وأولئك !

التاسع : وليت هؤلاء (الاقتصاديون) (المشفقون) على اقتصادنا بالمطالبة بقيادة المرأة للسيارة ، ليتهم يطالبون بإلحاح بإيقاف استيراد الدخان الذي تستورد منه الدولة ما يزيد على مليار ريال سنويا ، ويسبب أمراض صحية واجتماعية يكلف علاجها ملايين الريالات .

وكذا السياحة خارج البلد تكلف سنويا خمس وعشرين مليارا ، أليس هذا ﺑ ف حقيقي للاقتصاد ؟

ليتهم يوظفون عقولهم الشابة في الاستثمارات الصناعية بم يعود نفعه على شباب البلد ؟



ليتهم وليتهم وليتهم ، ولكن كما قال الأول : فاقد الشيء لا يعطيه .

العاشر : لو قدرنا جدلا أن الاقتصاد الداخلي يتحمل فعلا مبالغ ضخمة متمثلة في رواتب السائقين التي تحول شهريا خارج البلاد مقابل عدم السماح للمرأة بقيادة السيارة سواء كان عشرة مليارات أو أكثر أو أقل ؛ ألا نحتسب هذا المبلغ لحماية نسائنا من المفاسد التي ستحصل لهن لو سمح لهن بالقيادة ؟

والله الذي لا إله إلا هو ولا رب سواه ؛ لو ُنظر لهذه النقطة بعين العدل والإنصاف لعدت هذا المليارات قليلة ، وقديما قيل :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه   لا بارك الله بعد العرض بالمال

شبهة

فإن قيل : أن قيادة المرأة السعودية للسيارة شأن اجتماعي وليس حكوميا !

وقد أجاب الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله عن هذه الشبهة فقال :

شريعة الله كاملة شاملة أحوال العباد كلها ؛ الاجتماعية والتربوية والتعليمية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك ، لأ ا منـزلة من الله الحكيم العليم ، العالم بأحوال العباد وما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم ، قال الله عز وجل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : ((تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك)) حديث صحيح ، رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (٤٨) عن العرباض بن سارية ﵁ ، ورواه أيضا (٤٧) من حديث أبي الدرداء ﵁ .

وفي صحيح مسلم (٢٦٢) عن سلمان ﷺ قال : قيل له : ((قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة !

قال : فقال : أجل ! لقد انا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم)) ، وهو يدل على كمال الشريعة واستيعا ا لكل ما تحتاجه هذه الأمة ، حتى آداب قضاء الحاجة .

وفي صحيح البخاري (٥٥٩٨) عن أبي الجويرية قال : ((سألت ابن عباس عن الباذق ، فقال : سبق محمد ﷺ الباذق ، فما أسكر فهو حرام ، قال : الشراب الحلال الطيب ، قال : ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث)) ، والباذق نوع من الأشربة ، والمعنى أن الباذق لم يكن في زمنه ﷺ ، ولكن ما جاء به الرسول ﷺ مستوعب له وغيره ، وذلك في عموم قوله ﷺ : ((ما أسكر فهو

حرام)) ، فإن عموم هذا الحديث يدل على أن كل مسكر مما كان في زمنه ﷺ أو وجد بعد زمنه - سواء كان سائلاً أو جامداً - فهو حرام ، وأن ما لم يكن كذلك فهو حلال .

وقال الإمام ابن القيم في كتابه « إعلام الموقعين » (٣٧٥/٤-٣٧٦) في بيان كمال الشريعة ، قال :

((وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها ، وهو مبني على حرف واحد ، وهو عموم رسالته ﷺ بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم ، وأنه لم يحوج أمته إلى أحد بعده ، وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به ، فِلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص ، عموم بالنسبة إلى المرسل إليهم ، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بعث إليه

في أصول الدين وفروعه ، فرسالته كافية شافية عامة ، لا تحوج إلى سواها ، ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا ، فلا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به ، وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً ، وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي ، وآداب الجماع والنوم ، والقيام والقعود ، والأكل والشرب ، والركوب والنزول ، والسفر والإقامة ، والصمت والكلام ، والعزلة والخلطة ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، وجميع أحكام الحياة والموت)) ، إلى أن قال : ((وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه ، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طَرق العالَم شريعةٌ أكمل منها ناقصة ، تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها ، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها ؟! ومن ظن ذلك فهو كمن ظن

أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده ، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك ، وقلة نصيبه من الفهم الذي وفق الله له أصحاب نبيه الذين اكتفوا بما جاء به ، واستغنوا به عما سواه ، وفتحوا به القلوب والبلاد ، وقالوا : هذا عهد نبينا إلينا ، وهو عهدنا إليكم)).

بعد إيراد هذه المقدمة في كمال الشريعة ، أقول : إن من المؤسف أن يتصدى بعـض الكُتاب ومن لا علاقة لهم بالعلم الشرعي للكلام في بعض الأمور الخطيرة ، مهونين من شأ ا ، زاعمين أنه لا يوجد شرعاً ما يمنع منها ، مثل قيادة المرأة للسيارة ، التي تؤدي إلى أن تذهب المرأة كيف شاءت ، وتختلط بمن شاءت دون حفيظ لها أو رقيب عليها ، ومما قاله أحدهم في أحدى الصحف :

((إنه لا يوجد مانع شرعي إسلامي لقيادة المرأة للسيارة ... وأن قيادة المرأة

السعودية للسيارة شـأن اجتـماعي وليس حكومـياً ، ولا يحتاج إلى إصدار فتوى شرعية ! ! !)).

وهذه منه فتوى غير شرعية استغنى ا عن إصدار فتوى شرعية ! ، وكيف يظن أو يتصور أن تكون الشريعة الإسلامية الكاملة تخلو من وجود مانع لقيادة المرأة السيارة ، وهو من الأمور الخطيرة التي يترتب عليها أضرار كبيرة ، وهي الشريعة العظيمة التي جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها ، وسد المنافذ التي توصل إليها ؟! ومن القواعد الشرعية سد الذرائع الموصلة إلى الحرام ، وأن الوسائل التي توصل إلى غايات محرمة محرمة ، ولا شك أن قيادة المرأة للسيارة يترتب عليه ترك الحجاب واختلاط النساء بالرجال وتيسر وصولها إلى ما فيه ضررها ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ ، فقد ى الله في هذه الآية الكريمة عن

سب آلهة المشركين مع أنه حق إذا ترتب عليه قيام المشركين بسب الله سبحانه وتعالى ، وثبتت السنة بتحريم الخلوة بالأجنبية ولو في إقراء القرآن ، وسفر الأجنبي ـا ولو للحج وزيارة الوالدين ، سداً لما يحاذر من الفتنة وغلبات الطباع ، ففي صحيح البخاري (١٨٦٢) ومسلم (٣٢٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : ((لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم .

فقال رجل : يا رسول الله ، إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا ، وامرأتي تريد الحج ؟

فقال : اخرج معها)) .

فقد أرشد النبي ﷺ الرجل السائل في هذا الحديث إلى ترك الجهاد ليسافر مع امرأته للحج ، قال ابن القيم في « الطرق الحكمية » (ص٢٨٠) : ((ومن ذلك أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفُرج ومجامع الرجال)) .

وقال (ص٢٨١) : ((ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نـزول العقوبات العامة ، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة ، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا ، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة)) .

وقال : ((فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا ، بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشي بينهم متبرجات متجملات ، ولو علم أولياء الأمر ما

في ذلك من فساد الدنيا والرعـية - قبل الدين - لكانوا أشد شيء منعـا لذلك)).

وهذا الذي ذكره ابن القيم من وجوب قيام ولاة الأمور بمنع اختلاط النساء بالرجال وكذا منع كل ما يؤدي إليه لما يترتب عليه من الأضرار الكبيرة يوضح فساد الفتوى غير الشرعية في أن قيادة المرأة السعودية للسيارة شأن اجتماعي وليس حكوميا ، وكيف لا يكون حكوميا وقد قال النبي ﷺ : ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته)) الحديث ، أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩) ؟ ! .

وأسأل الله عز وجل أن يحفظ على هذه البلاد أمنها وإيما ا وعفتها وطهرها ، وأن يوفق الكُتاب وغيرهم لترك الكلام في مثل هذه الأمور الخطيرة بغير علم ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

انتهى كلامه حفظه الله .

خلاصة

وخلاصة القول ستة أمور :

١. إن قيادة المرأة للسيارة تعتبر وسيلة عظيمة لحصول الشرور ، وخطوة أولى من خطوات تحرير المرأة من تعليمات الشريعة ، إذ به ينهار خـلق القرار في البيت الذي جـبل عليه النساء ، وينفتح الباب أمام الأشرار لمطاردة المرأة بعيدا عن بيتها الذي كانت تستتر به ، ناهيك عن التشتت الأسري ، وأمور أخرى تقدم ذكرها ، فقيادة المرأة للسيارة فخ شيطاني ، وحبة أولى في عقدٍ إذا انفرطت تلتها باقي الحبات ، والله الحافظ .

والواجب على المسلم أن يحرص على ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة ، وأن يحذر من الوقوع مما يقربه إلى النار ، لقول ربنا تبارك وتعالى يا أيها الذيـن

آمنوا لا تـتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبيـن﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : فمن اتقى الشبهات فقد استـبـرأ لديـنه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .[١٦]

٢. إن واقع النساء في البلاد التي تقود فيها المرأة السيارة خير شاهد على ما حصول المفاسد التي قررنا آنفا ، فالواجب الحذر ، وألا يجعل الإنسان نفسه محطة تجارب ربما أوبقت دنـياه وآخرته ، وكانـت عاقبتها سيئة على سمعته وعرضه ، والسعيد من اتعظ بغيره لا من اتعظ بنفسه .

---

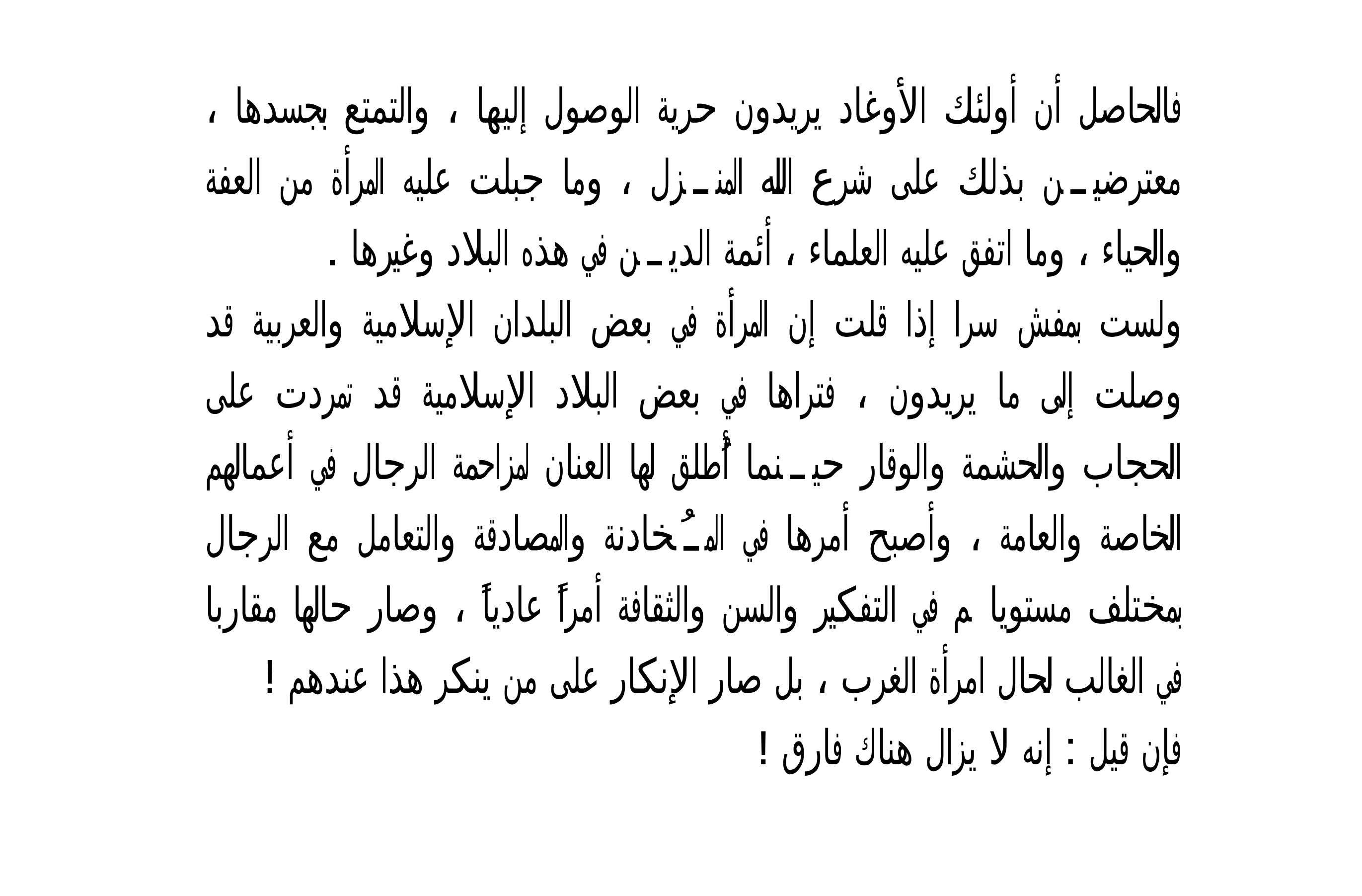
[16] رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

٤. أن المطالبين بقيادة المرأة للسيارة يطلون علينا في كل مرة بوجه مختلف ، ويلبسون دعواهم جلبابا متلونا ، فتارة إنسانيا ، وتارة دينيا ، وأخيرا اقتصاديا ![17] ، وغالبهم – إن لم يكن كلهم - ليسوا من أهل الديـن والاستقامة والحسبة ، بل هم إما علمانـيون منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون التمرد على أحكام الشرع ، أو فساق يريدون التمتع بمفاتـن المرأة ، أو جهال حسنوا النوايا ، لا يقدرون عواقب الأمور ، قد طحنـتهم عجلة التقليد ، و بهرهم زخرف القول بوجوب التجديد ، يمشون وراء كل ناعق بحجة التحضر والتمدن – زعموا - ، وكل هؤلاء في عمى أو تعامي ، عما خص الله به المرأة من خصائص تميزها عن الرجل ، وعمىً أيضا عما وصل إليه المجتمع

[17] من مقال بعنوان « النساء لا يصلحن لقيادة السيارة في بلادنا وهذه مبرراتي » ، نشر في جريدة الاقتصادية لمحمد بن عبد الله آل الشيخ جزاه الله خيرا .

الغربي الذي يقتدون به إلى انحدار خلقي ، وتفكك أسري ، ومستوى منحط في التفسخ والتبرج ، والخروج عن إطار الحشمة والوقار والاحترام ، حتى صارت المرأة عندهم وسيلة إغراء وافتـتان ، وواجهة إعلامية لترويج منـتجات المصانع وتسويقها ، والمتاجرة في الأعراض والفواحش ، واستخدامها في مجالات النصب والإرهاب ، كل هذا بسبب إخراجها من البيت بطريقة أو بأخرى ، وإقحامها في أوساط الرجال .

بل قد وصل الأمر في الغرب إلى تبادل الزوجات ، ونكاح الرجل بالرجل ، ونكاح المرأة للمرأة ، كل هذا بسبب التصعيد الجنسي الذي منشؤه كثرة الخروج والاختلاط ، الذي تعد قيادة المرأة للسيارة أحد روافده .



فالحاصل أن أولئك الأوغاد يريدون حرية الوصول إليها ، والتمتع بجسدها ، معترضين بذلك على شرع الله المنزل ، وما جبلت عليه المرأة من العفة والحياء ، وما اتفق عليه العلماء ، أئمة الدين في هذه البلاد وغيرها .

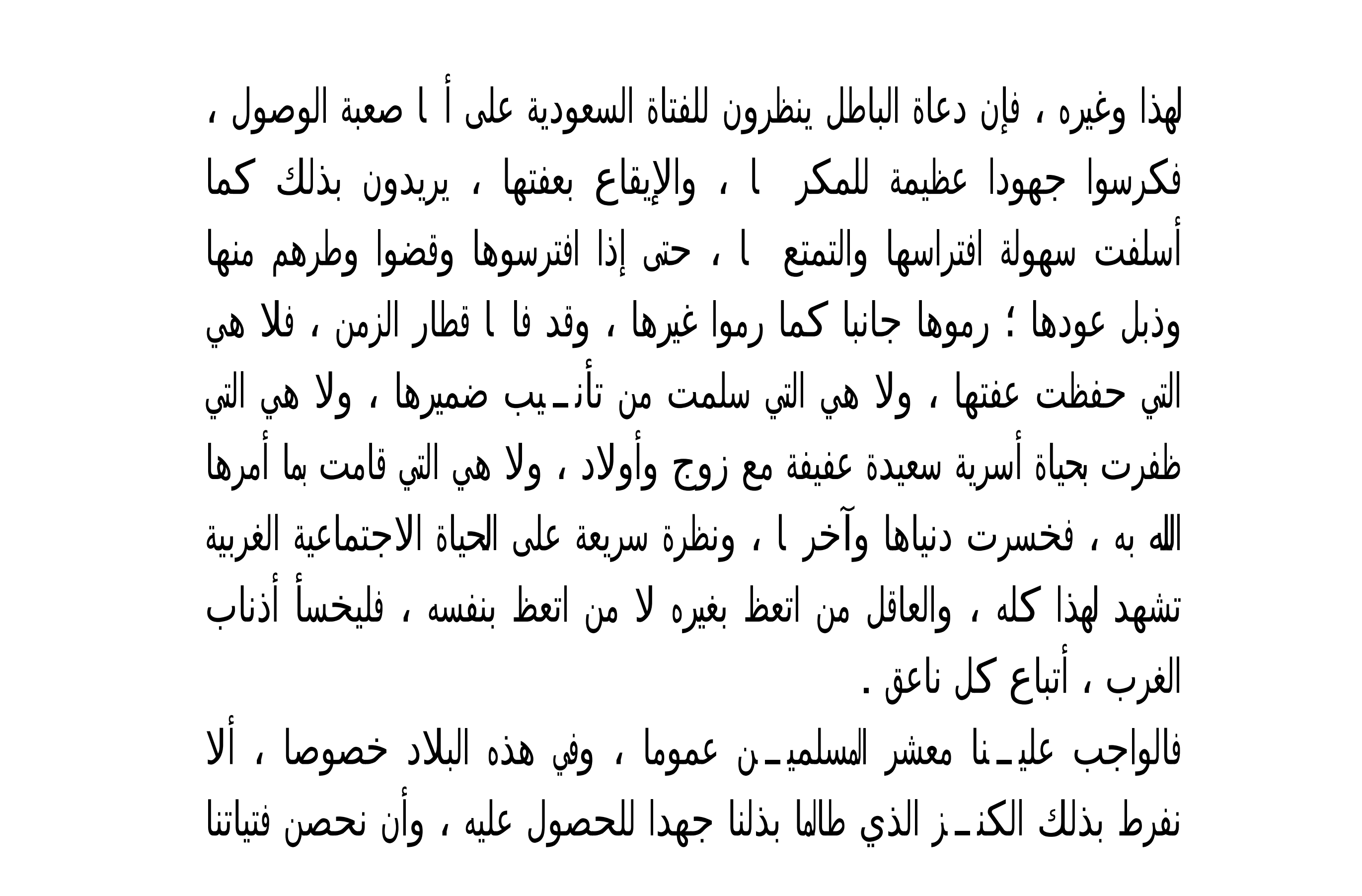
ولست بمفش سرا إذا قلت إن المرأة في بعض البلدان الإسلامية والعربية قد وصلت إلى ما يريدون ، فتراها في بعض البلاد الإسلامية قد تمردت على الحجاب والحشمة والوقار حينما أُطلق لها العنان لمزاحمة الرجال في أعمالهم الخاصة والعامة ، وأصبح أمرها في المـُخادنة والمصادقة والتعامل مع الرجال بمختلف مستوياتهم في التفكير والسن والثقافة أمراً عادياً ، وصار حالها مقاربا في الغالب لحال امرأة الغرب ، بل صار الإنكار على من ينكر هذا عندهم !

فإن قيل : إنه لا يزال هناك فارق !

فالجواب أن عوامل الانحلال واستمرارية البعد عن الضوابط الشرعية كفيلة بإذابة هذا الحاجز ، ومن سار على الدرب وصل ، نسأل الله لنا ولهم العافية والسلامة .

٥. أن الواقع خير دليل على بطلان دعوى المطالبة بقيادة المرأة للسيارة ، فالنساء كن ولا زلن ، في غنى عن قيادة السيارة ، وسيظللن إن شاء الله على ذلك .

٦. أن الفتاة السعودية ، والتي تتعرض الآن لهجمة شرسة لإلحاقها بركب النساء المستغربات ، تمتاز بحمد لله بما يوفر الثقة ا بنـتاً وزوجة وأماً ومربية ، وتمتاز بقدر ا على التعلم بلا حدود تعليمية ، دون أن يكون ذلك مؤثراً على وقارها وحشمتها ، ولم تكن قيادة السيارة عائقا لها عن الحصول على ذلك كله .



لهذا وغيره ، فإن دعاة الباطل ينظرون للفتاة السعودية على أ ا صعبة الوصول ، فكرسوا جهودا عظيمة للمكر ا ، والإيقاع بعفتها ، يريدون بذلك كما أسلفت سهولة افتراسها والتمتع ا ، حتى إذا افترسوها وقضوا وطرهم منها وذبل عودها ؛ رموها جانبا كما رموا غيرها ، وقد فا ا قطار الزمن ، فلا هي التي حفظت عفتها ، ولا هي التي سلمت من تأنـيب ضميرها ، ولا هي التي ظفرت بحياة أسرية سعيدة عفيفة مع زوج وأولاد ، ولا هي التي قامت بما أمرها الله به ، فخسرت دنياها وآخر ا ، ونظرة سريعة على الحياة الاجتماعية الغربية تشهد لهذا كله ، والعاقل من اتعظ بغيره لا من اتعظ بنفسه ، فليخسأ أذناب الغرب ، أتباع كل ناعق .

فالواجب عليـنا معشر المسلميـن عموما ، وفي هذه البلاد خصوصا ، ألا نفرط بذلك الكنـز الذي طالما بذلنا جهدا للحصول عليه ، وأن نحصن فتياتنا

من الوقوع في شـرك أهل الباطل كما وقع فيه كثير من الناس ، فليس هذا بمستغرب ، لأن أكثر الناس ليسوا على الهدى المستقيم ، كما قال تعالى ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ ، وقال تعالى ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ .

همسات

وهاتان همستان في آذان المسؤولين وفقهم الله لما فيه نفع البلاد والعباد :

الهمسة الأولى : أننا لسنا في شك من عقيدتنا ، فعقيدتنا هي التمسك بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ ، على ضوء فهم السلف الصالح ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، التي شهد لها الرسول ﷺ بالخيرية .

ولسنا في شك فيما ندعو إليه غيرنا ، فمنهج الدعوة الذي قامت عليه هذه البلاد منذ ثلاثة قرون هو منهج أصيل وليس بدخيل ، وقد استضاء به العالم أجمع منذ ذلك الحين ، وسيستمر إن شاء الله طالما تمسكنا به .

ولسنا في شك من علمائنا ، فعلمائنا بحمد الله من خيرة العلماء في دينهم وعلمهم على مستوى العالم أجمع ، وقد استقرت عدالتهم عند المسلمين ، لما عرف عنهم من التمسك بالآثار ، وسعة الاطلاع العلمي ، وبعد النظر في عواقب الأمور ، وصدق مع الله عز وجل ، نحسبهم كذلك والله حسيبهم .

ولسنا في شك من تقاليدنا وأخلاقنا العربية الأصيلة ، فنحن العرب الأقحاح ، الذين بلغ آباؤنا وأمهاتنا في الجاهلية الغاية في التحرز والتستر والغيرة على الأعراض ، فكيف بنا وقد عمر الإسلام بيوتنا وصدورنا ؟

الهمسة الثانية : إنكم محسودون من قبل أعداء الملة في الخارج ، وأذنا م في الداخل ، على هذا الاستقرار الذي تنعمون به ، واجتماع الكلمة الذي ترفلون به ، إنكم مستهدفون وهم يرونكم ولا يرون أحدا سواكم قد أخذ على عاتقه نشر الدين الإسلامي بأصوله العظيمة وحذافيره الدقيقة ، في جامعاتكم العلمية ، ومعاهدكم الدراسية ، ودروسكم اليومية ، وخطبكم الأسبوعية .

إنكم مستهدفون وهم يرونكم ولا يرون أحدا سواكم قد تميزت نساؤه عن نساء العالم أجمع بمزيد عفة وتستر ، بل صِرن مثالا للمرأة الشرقية والغربية ، فينبغي لكم أولا أن تحمدوا الله على هذه النعمة التي خصكم الله ا ، وتشكروها ولا تكفروها ، ثم تحذروا شديد الحذر في مسيرتكم القيادية من الأعداء المتربصين والمتسترين ، وذلك بجعل الشورى والرأي والحل والعقد في أهل الاختصاص المعروفين بدرايتهم وديانتهم وصيانتهم وغير م على نسائكم

ونسائهم ، حتى لا تزل القدم ، أو ينحرف المسار عما هو عليه ، فاتخذوهم بطانة ، وشاوروهم في الأمر ، ولا تقطعوا أمرا دون رأيهم ، ولا حكما إلا بمشاور م ، لأ م يبتغون بعلمهم وجه الله والدار الآخرة ، ولا يخافون في الله لومة لائم .

وقد جاءت أحاديث تدل على فضل البطانة الصالحة ، فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله تعالى .[١٨]

---

[18] رواه البخاري (٧١٩٨) .

وفي لفظ آخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ما من نبي ولا والٍ إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف ، وبطانة لا تألوه خبالا ، ومن وقي شرهما فقد وقي ، وهو مع التي تغلب عليه منهما .[19]

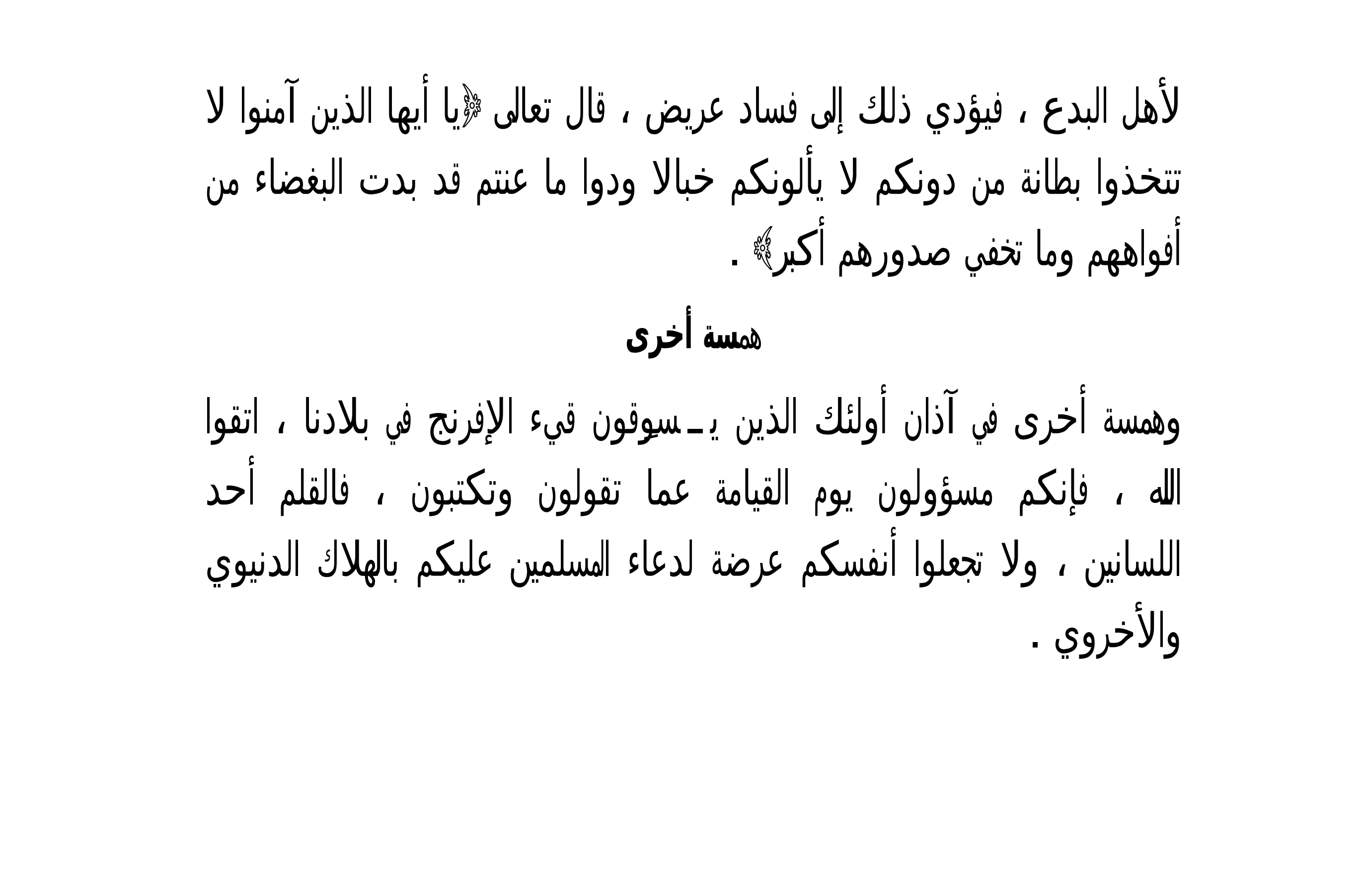
وعن القاسم بن محمد قال سمعت عمتي (أي عائشة رضي الله عنها) تقول : قال رسول الله ﷺ : من ولِـي منكم عملا فأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه .[20]

كما ينبغي على المسؤولين أن يحذروا من بطانة السوء ، فإن أكثر ما يؤتى المسؤولين من قبل المـُقدمين لديهم ، فقد يكتمون نصحه رغبة في مال ، أو زوال سلطان ، أو حسدا له على ما آتاه الله من فضله ، أو عداء للدين ونصرة

---

19 رواه أحمد (٢٣٧/٢) ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

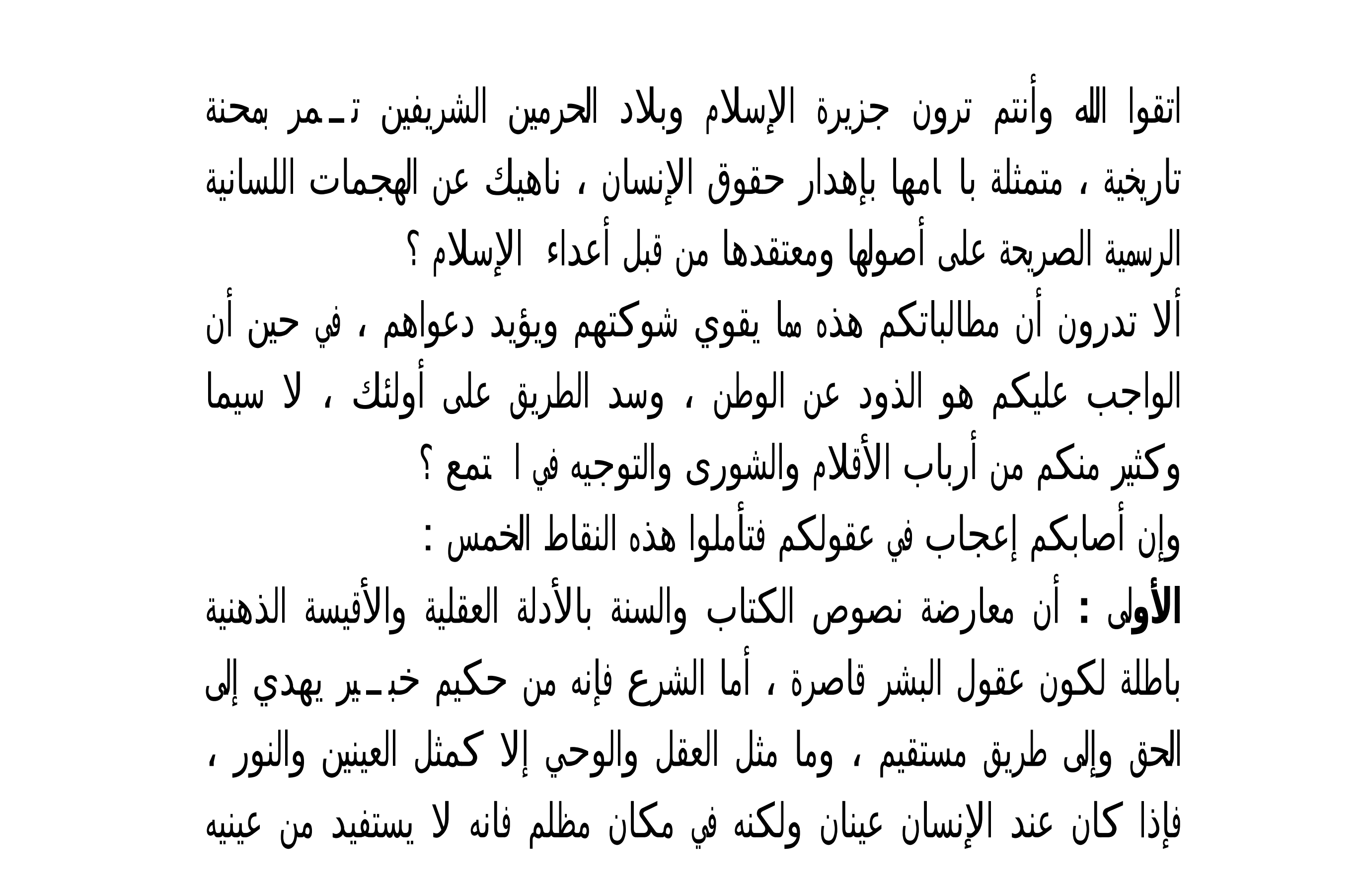
20 رواه النسائي (٤٢٠٤) واللفظ له ، وأبو داود (٢٩٣٢) ، وهو في « صحيح النسائي » (٣٩٠٩) .



لأهل البدع ، فيؤدي ذلك إلى فساد عريض ، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ .

همسة أخرى

وهمسة أخرى في آذان أولئك الذين يـسوقون قيء الإفرنج في بلادنا ، اتقوا الله ، فإنكم مسؤولون يوم القيامة عما تقولون وتكتبون ، فالقلم أحد اللسانين ، ولا تجعلوا أنفسكم عرضة لدعاء المسلمين عليكم بالهلاك الدنيوي والأخروي .



اتقوا الله وأنتم ترون جزيرة الإسلام وبلاد الحرمين الشريفين تـمر بمحنة تاريخية ، متمثلة با امها بإهدار حقوق الإنسان ، ناهيك عن الهجمات اللسانية الرسمية الصريحة على أصولها ومعتقدها من قبل أعداء الإسلام ؟

ألا تدرون أن مطالباتكم هذه مما يقوي شوكتهم ويؤيد دعواهم ، في حين أن الواجب عليكم هو الذود عن الوطن ، وسد الطريق على أولئك ، لا سيما وكثير منكم من أرباب الأقلام والشورى والتوجيه في ا تمع ؟

وإن أصابكم إعجاب في عقولكم فتأملوا هذه النقاط الخمس :

الأولى : أن معارضة نصوص الكتاب والسنة بالأدلة العقلية والأقيسة الذهنية باطلة لكون عقول البشر قاصرة ، أما الشرع فإنه من حكيم خبـير يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وما مثل العقل والوحي إلا كمثل العينين والنور ، فإذا كان عند الإنسان عينان ولكنه في مكان مظلم فانه لا يستفيد من عينيه

شيئا ، بل هو كالأعمى تماما ، وكذلك العقل لا يستطيع أن يحكُم بنفسه إلا بنور الشريعة .

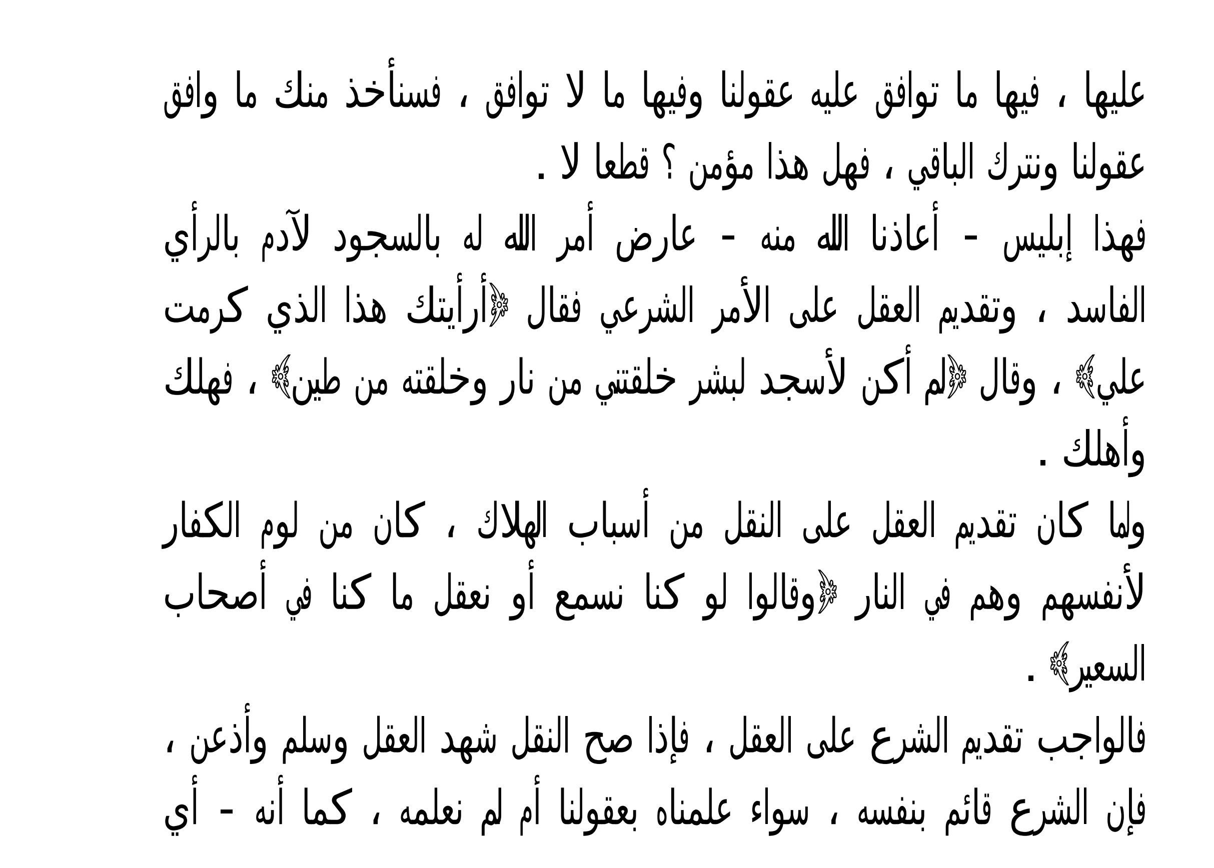
الثانية : لو كان بمقدور الإنسان أن يهتدي إلى الحق اعتمادا على العقل لاهتدى إلى ذلك الرسول ﷺ ، لأن عقله أكمل العقول ، ومع هذا فلم يهتدي الرسول ﷺ إلا بالوحي كما قال تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ ، وقال تعالى ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ ، وقال تعالى ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربـي﴾ ، فإذا كان الرسول ﷺ قد تجرد من حوله وقوته الحسية والعقلية ورد نعمة الهداية إلى الوحي ، فكيف تحصل الهداية لمن هو دون النبـي ﷺ بمجرد الاعتماد على العقل ، أو التشبه بالكفار الذين نص القرآن على أ م ليس لديهم عقول ؟!

الثالثة : أن الشرع هو قول المعصوم الذي قام الدليل على صحته ، أما الطرق العقلية فليس هناك دليل على صحتها ، لا شرعي ولا عقلي ، فالذي تـنتجه عقول هؤلاء تخالفه عقول أولئك ، والذي تـنتجه عقول هؤلاء تـتراجع عنه إلى قول أولئك ، فعلى هذا فلا يصح أن يعارض الدليل الشرعي الصحيح بما لا يـقطع بصحته .

الرابعة : أن العقل مصدق للنقل فيما أخبر به ، بـينما النقل لم يصدق العقل فيما أخبر به .

الخامسة : أن كثيرا من الأدلة العقلية باطلة عقلا وشرعا ، فيكون تقديمها على النقل من القدح في العقل .

وقد شبّـه بعض العارفين حال من يعترض على الشرع بالشبه العقلية بحال من أتى إلى الرسول ﷺ وقال له : إن الوحي الذي تلقيناه منك ، والسنة التي تدلنا

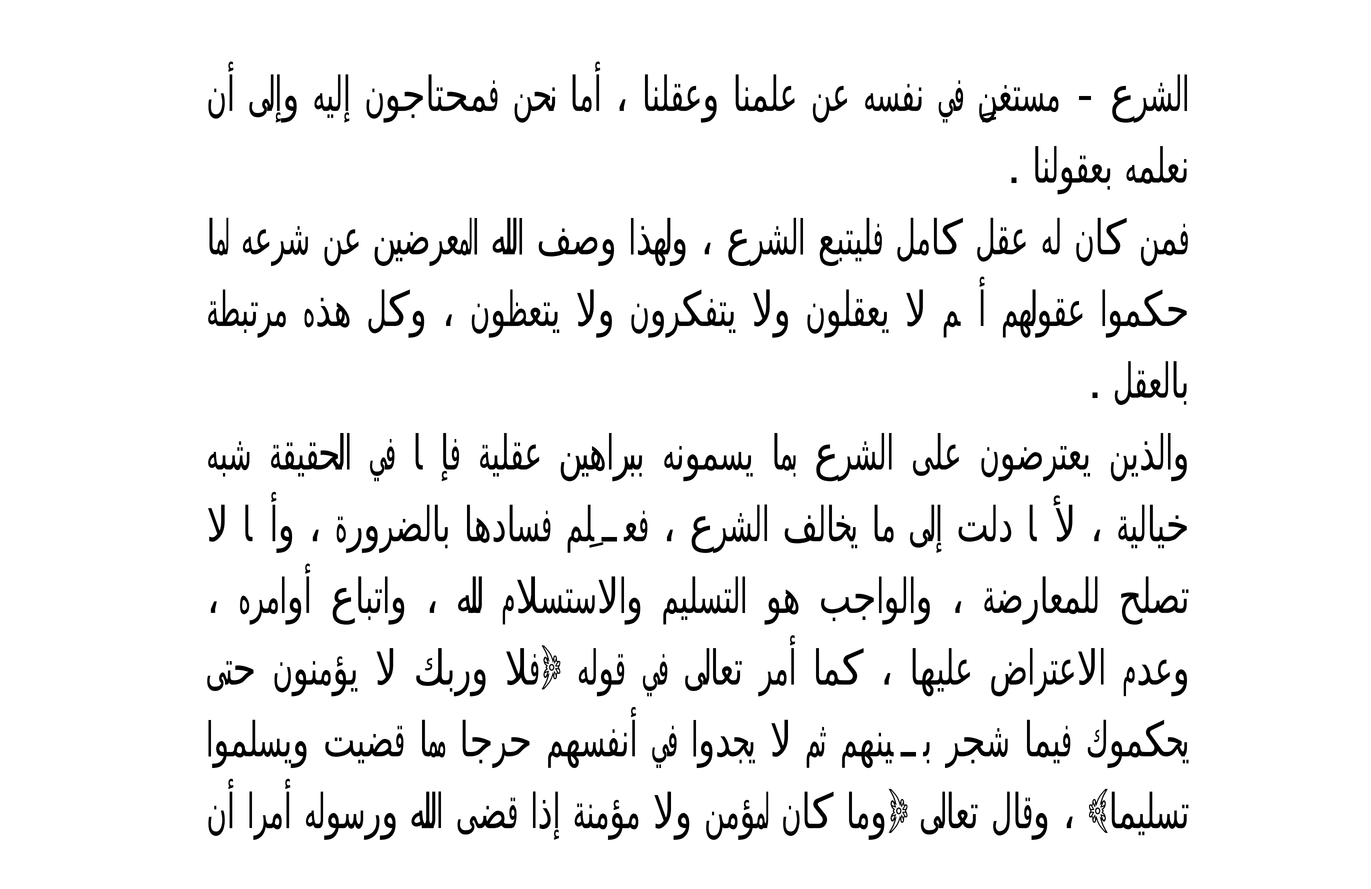


عليها ، فيها ما توافق عليه عقولنا وفيها ما لا توافق ، فسنأخذ منك ما وافق عقولنا ونترك الباقي ، فهل هذا مؤمن ؟ قطعا لا .

فهذا إبليس - أعاذنا الله منه - عارض أمر الله له بالسجود لآدم بالرأي الفاسد ، وتقديم العقل على الأمر الشرعي فقال ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ ، وقال ﴿لم أكن لأسجد لبشر خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ، فهلك وأهلك .

ولما كان تقديم العقل على النقل من أسباب الهلاك ، كان من لوم الكفار لأنفسهم وهم في النار ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ .

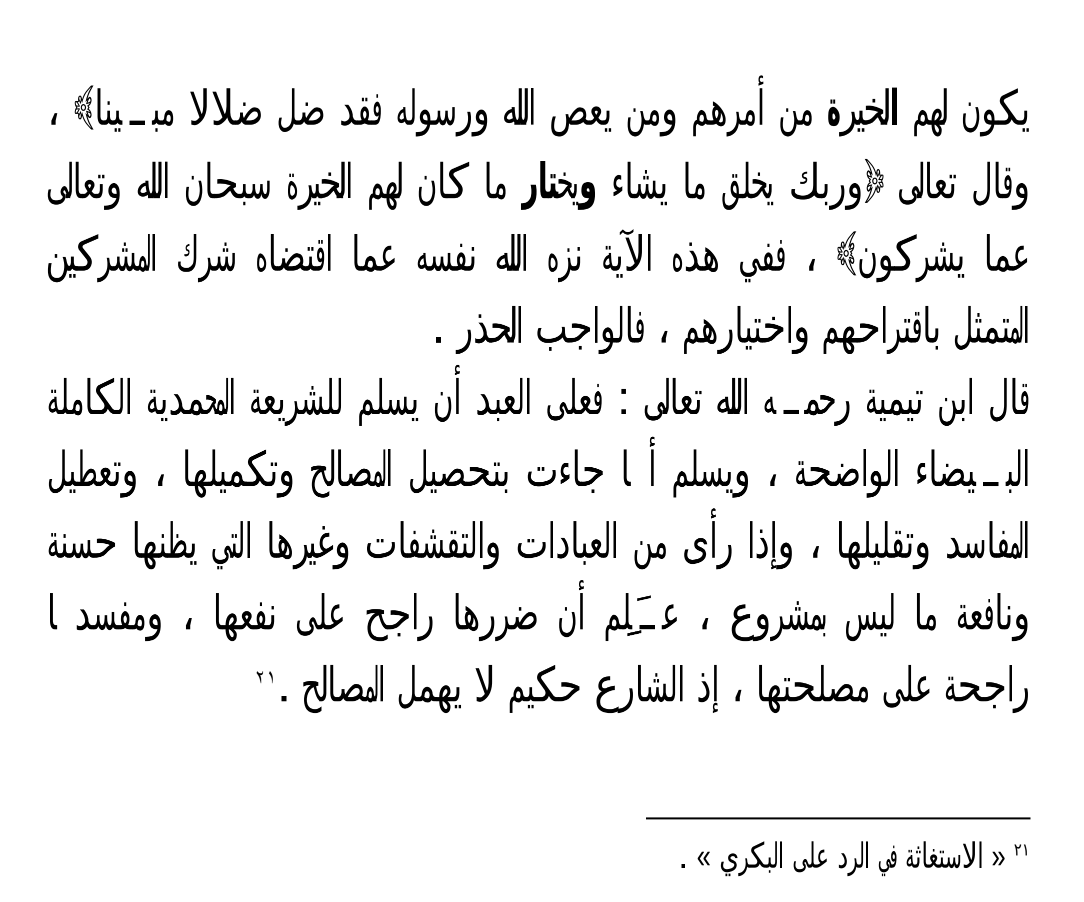
فالواجب تقديم الشرع على العقل ، فإذا صح النقل شهد العقل وسلم وأذعن ، فإن الشرع قائم بنفسه ، سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه ، كما أنه - أي



الشرع - مستغنٍ في نفسه عن علمنا وعقلنا ، أما نحن فمحتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا .

فمن كان له عقل كامل فليتبع الشرع ، ولهذا وصف الله المعرضين عن شرعه لما حكموا عقولهم أ م لا يعقلون ولا يتفكرون ولا يتعظون ، وكل هذه مرتبطة بالعقل .

والذين يعترضون على الشرع بما يسمونه ببراهين عقلية فإ ا في الحقيقة شبه خيالية ، لأ ا دلت إلى ما يخالف الشرع ، فعـلِم فسادها بالضرورة ، وأ ا لا تصلح للمعارضة ، والواجب هو التسليم والاستسلام لله ، واتباع أوامره ، وعدم الاعتراض عليها ، كما أمر تعالى في قوله ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بـينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ، وقال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن



يكون لهم **الخيرة** من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل **ضلالا** مبـينا﴾ ، وقال تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء **ويختار** ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ ، ففي هذه الآية نزه الله نفسه عما اقتضاه شرك المشركين المتمثل باقتراحهم واختيارهم ، فالواجب الحذر .

قال ابن تيمية رحمـه الله تعالى : فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البـيضاء الواضحة ، ويسلم أ ا جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وإذا رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع ، عـَلِم أن ضررها راجح على نفعها ، ومفسد ا راجحة على مصلحتها ، إذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح .[٢١]

[٢١] « الاستغاثة في الرد على البكري » .

وقال ابن القيم رحمـه الله : وأصل كل فتـنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع ، والهوى على العقل .[22]

اللهم احفظ نسائنا ، وارزقهن العفة والحياء ، وأعذهن من مضلات الفتن ونزغات الشيطان ، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، والله أعلم ، وصلى الله على نبيـنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

---

[22] « إغاثة اللهفان » (١٦٧/٢) .

انتهى تحريره ومراجعته في الثاني من شهر ذي القعدة لعام ست وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، الهجرة النبوية المباركة .

وكتبه ماجد بن سليمان الرسي
الجبيل ٣١٩٦١
ص ب ١٠٢٨٣
هاتف ٠٥٠٥٩٠٦٧٦١